حَتميّة الصّراع الدّيني على أرض فلسطين من مَنظور المقاصد الشرعيّة

د. سامي محمّد الصلاحات *

---

* أستاذ جامعي مساعد بكلية الإمام مالك للعلوم الشرعية والقانونية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

الملخص:

لا بد من التأكيد على أهمية مقصد الدين في دارسة الصراع العربي الصهيوني، إذ لا يخفى على أحد أن الدين أس الُضرورويات، وإذا اختل يلزم منه اختلال باقي الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، مع ضرورة دراسة إشكالياتنا السياسية من بُعد مقاصدي أصولي، إذ بهذا المنظور تكون الأحكام المتفرعة عنها أحكم وأضبط شرعياً في توصيف الإشكالية.

هناك معالم دينية أساسية واضحة في الصراع العربي الصهيوني، أبرزها تحدد في "الإنسان"، "المكان"، "الزمان"، وهي بمجملها تشير إلى معيار الدين في هذا الصراع.

وإن تحديد معيار المصالح والمفاسد في أي مقصد أصلي نريد أن يكون داعماً وسنداً لضروري الدين أمر ضروري؛ لأن المقاصد بذاتها تعمل على جلب المصالح ودرء المفاسد.

وكذلك توضيح موقع المقاصد الأصلية والمقاصد التابعة من الضروري ذو أهمية بالغة، إذ كلما ازدادت هذه المقاصد من الضروري تزداد أهميتهم، وكلما بُعدت عن خدمة الضروري، صارت في موضع الظن والضعف.

ولا بد من الربط بين الأحداث والوقائع الانفرادية للقضية الفلسطينية بالنسق الكلي والعام لها، من خلال إطار المقاصد الشرعية، إذ به تتحدد نظرتنا الشرعية، من دون أن تكون هذه النظرة جزئية وغير فاعلة.

ويعد الوعي الديني بالقضية الفلسطينة مقصداً أصلياً، إذ به يتعرف المتابع للقضية على أهمية الدين في تحريك مسار الصراع ما بين المسلمين واليهود، ويوازيه حتمية النصر قبل يوم القيامة.

كما يجدر بنا استحضار مفهوم الدعوة الإسلامية في خضم الصراع مع الصهاينة، وأن لا يكون الصراع الديني حاجزاً في أي وقت من الأوقات في دعوة اليهود وغيرهم لهذا الدين القويم.

والجهاد والمقاومة مقصد أصلي في الحفاظ على ضرورية الدين بتشعباته

المختلفة أو مسالكه العديدة، وبالاستقراء تبين أن في هذا المقصد علاقة مطردة بباقي المقاصد.

ولا شك أن التيار الإسلامي الملتزم بمنهج الإسلام، قرآناً وسنة هو الأجدر أن ينصر ويؤيد على باقي الجماعات والمنظمات العلمانية واليسارية في فلسطين وغيرها.

المقدمة

يرى علماء الأصول أن المقاصد الضرورية هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين(١).

يرى علماء اللغة أن مصطلح الدين – بالكسر: "العادةُ والشأن، ودانَهُ ديناً، أي أذله واستعبده، يقال: دِنْتُهُ فدانَ، والدينُ: الجزاءُ والمكافأةُ، يقال: دانَهُ ديناً، أي جازاه. يقال: كما تَدينُ تُدانُ، أي كما تُجازي تُجازى، أي تُجازى بفعلك وبحسب ما عملت، ومنه الدَيَّانُ في صفة الله تعالى، والدينُ: الطاعةُ. ودانَ له، أي أطاعه، قال عمرو بن كلثوم:

وأيّـــامٍ لـــنـــا ولـــهـــم طِـــوال عَصَـيْـنـا الـمَـلْـكَ فـيـهـا أَنْ نَـديـنـا

ومنه الدينُ؛ والجمع الأدْيانُ. يقال: دانَ بكذا دِيانَةً وتَدَيَّنَ به، فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ. ودَيَّنْتُ الرجل تَدْييناً، إذا وكَلْتَهُ إلى دينِه. وقول ذي الإصبع:

لاهِ ابْنُ عَمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّي ولا أنت دَيَّاني فَتَخْزوني"(٢)

واستعير الدين للشريعة، والدين كالملة، لكنه يقال اعتداداً بالطاعة والانقياد للشريعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، سورة آل عمران، ١٩، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، سورة النساء، ١٢٥، أي: طاعة، ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾، سورة النساء، ١٤٦.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾، سورة النساء، ١٧١، وذلك حث على اتباع دين النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو

---

(١) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: عبد الله دراز، (بيروت: دار المعرفة، ط٥، ٢٠٠١)، ١/ ٣٢٤.

(٢) بتصرف من الجواهري، **الصحاح في اللغة وصحاح العربية**، ، تحقيق: أحمد عطار، (لا يوجد مكان ولا دار نشر، ط٣، ١٩٨٢)، مادة دين، ٥/ ٢١١٧.

أوسط الأديان كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، سورة البقرة، ١٤٣، وقوله ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، سورة البقرة، ٢٥٦، قيل: يعني الطاعة، فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه، وقيل: إن ذلك مختص بأهل الكتاب الباذلين للجزية. وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾، سورة آل عمران، ٨٣، يعني: الإسلام، بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، سورة آل عمران/ ٨٥]، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾، سورة الصف، ٩، وقوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾، سورة التوبة، ٢٩[٣].

ومما ثبت عنه في الصحيح: قوله صلى الله عليه وسلم: "أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي"[٤]، وهذا ما أكده صاحب كتاب العقيدة الطحاوية، "ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام"[٥].

كما عرف علماء الشريعة الدين بأنه "وضع إلهي سائقٌ لذوي العقول السليمة، باختيارهم المحمود إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"[٦] - يمثل أساس المقاصد الضرورية، وهذا ما أراده الجويني حيث قال:" الغرض استيفاء قواعد الإسلام طوعاً أو كرهاً، والمقصد الدين"[٧]، فإن دراسته، كمحور للصراعات والخلافات بين أتباع الأديان، له من الظروف والملابسات

---

(٣) بتصرف من الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان داوودي، (دمشق: دار القلم، ط٢، ١٩٩٧)، ص٣٢٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها)، أيضاً **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام.

(٥) ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، (تحقيق: أحمد شاكر، (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ)، ص ٥٣٣.

(٦) يوسف العالم، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**، (القاهرة: دار الحديث، طت)، ص٢٠٥.

(٧) الجويني، **غياث الأمم في التياث الظلم**، تحقيق: عبد العظيم الديب، (قطر: مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ)، ص١٨٣.

الخاصة ما يجعل هالة التقديس والإجلال لهذا الصراع منفية، إذ الكل يرى أن دينه هو الحق، وما خلافه فهو الباطل.

إن الناظر اليوم في الدراسات المتعلقة باليهود كطائفة دينية صاحبة كتاب سماوي لا يقل أهمية في نظر الباحث عن النظر في الدراسات المتعلقة بالإسلام أو النصرانية على حد سواء، لأمر بسيط؛ ذلك أن كل هذه الأديان والطوائف ذات مصدر سماوي واحد، مع التحفظ الشديد على ما أصاب اليهودية والنصرانية من تحريف وتشويه على أيدي نفر، كان لهم من الوزر والإثم قدر ما أضلوا وأعموا عن الطريق الحق.

فاليهود على اختلاف توجهاتهم العقدية أو الفكرية أو الحركية، منقسمون وموزعون إلى تيارات أساسية في عصرنا الحاضر، مثل اليهودية المحافظة Conservative Judasim، أو اليهودية الإصلاحية Reform Judasim، أو اليهودية الأرثودكسية Rabbinic Judasim. ومن الأرثدوكس غلاة منهم: من يرى بالصهيونية عداء لليهود، كفرقة الحرِديم، والذين يرون أن "إسرائيل رحمة، وبقية الأمم عقاب"(٨).

كلهم بلا استثناء يشكلون محل دراسة وبحث، لا سيما فيما يتعلق بالصراع العربي الصهيوني على أرض فلسطين، وإن هذه التيارات العقدية أو الفكرية تسهم بلا شك في هذا الصراع من مناظير مختلفة.

وفي دراستنا هذه، سنقصر الأمر على أهمية الصراع الديني ما بين المسلمين واليهود، ما بين أتباع الدين القويم، وثلة من البشر، زعموا أنهم على حق، وأنهم على عداوة مع الديانة الأكثر انتشاراً في العالم، وشكلوا لذلك ثقافةً وديناً – أصح ما يقال فيه: إنه دين قومي، لا دين سماوي–، لجمع كافة اليهود في العالم لذلك.

لكن في دراسة لإشكاليات القضية الفلسطينية من منظور المقاصد

---

(٨) سفر رخلافسكي، حمار المسيح، الأصولية اليهودية، الحاضر والجذور، ترجمة: إسماعيل دبج، (دمشق: دار كنعان، ط١، ٢٠٠٠)، ص١٠٩، ص١٩٦.

الشرعية سيجعل الرؤية المناسبة أقرب وأوضح وأدق وأصوب للمسلمين في تفسير الحوادث والوقائع، فالمقاصد والتي هي الغايات والأهداف التي ترمي إليها الشريعة بأحكامها وأدلتها التشريعية من إيجادها تحصيل مصالح مجلوبة أو مفاسد متروكة، هي بذاتها مقصودة للشريعة أصالةً.

وهي كما يعرفها بعض الباحثين، بأنها "المعاني الغائية، التي اتجهت إرادة الشارع إلى تحقيقها عن طريق أحكامه"(٩)، والمعاني هي في الغالب المصالح والمفاسد من الأفعال والأعمال، فكل غاية تحمل في طياتها مصالح مجلوبة أو مفاسد ملغاة.

وتزداد الدراسة أهمية، عندما نتحدث عن الدين وعلاقته بالمقاصد الشرعية، فالموضوع هام والأدوات البحثية هي على مرتبة عالية من الأهمية المنهجية، بل قد تصل إلى مرتبة العبادة والطاعة، فيذهب إمام المقاصديين الشاطبي إلى أن مراعاة المقاصد الأصلية تصيِّر العمل طاعة، إذ يقول:" البناء على المقاصد الأصلية يصيّر تصرفات المكلف كلها عبادات، سواء أكانت من قبيل العبادات أم العادات، لأن المكلف إذا فهم مراد الشارع من قيام أحوال الدنيا، وأخذ في العمل على مقتضى ما فهم، فهو إنما يعمل من حيث طلب منه العمل، ويترك إذا طلب منه الترك، فهو – أبداً – في إعانة الخلق على ما هم عليه من إقامة المصالح باليد واللسان والقلب"(١٠).

ويقابل المقاصد الوسائل، والأخيرة تعني ما يتقرب به إلى المقصد، أو هي الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد(١١)، فالجهاد وسيلة شرعية وليس غاية بذاته، لأنه فعل يتوصل به لحفظ الدين والملة، كما قال الله عز وجل

---

(٩) عبد الرحمن الكيلاني، **قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي**، (عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٠)، ص٤٧.

(١٠) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/ ٤٩٩.

(١١) مصطفى مخدوم، **قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية**، (الرياض: دار إشبيليا، ط١، ١٩٩٩)، ص٤٧ وما بعدها.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾، سورة الأنفال، ٣٩.

أي أن المقصد والوسيلة سيكونان على محل تواصل في هذه الدراسة، لنحدد مقاصدنا الأصلية في حفظ الدين في خضم هذا الصراع، ونحدد وسائلنا الشرعية في دعم مقاصدنا الأصلية المطلوبة، وهذا لا يكون إلا بتوصيف الدين بدايةً في هذا الصراع، مع بيان معالمه المتركزة في " الإنسان"، و"المكان"، و"الزمان".

ثم نحدد بعد ذلك، أهم المقاصد الأصلية التي يمكن أن تساعد على حفظ الدين الإسلامي، والتي بمجملها ستكون إن شاء الله محل انطلاقة للمشروع الإسلامي الحضاري بدلاً من هيمنة المشروع الصهيوني على المنطقة العربية والإسلامية.

وهنا لا بد من التأكيد على أن في دراسة الدين أو علم أصول الدين بصورة عامة، الأصل أن تبقى ضمن دائرة القطعيات واليقينيات، وأن لا نخوض كثيراً في مسائل الظنيات وإن كانت غالبة على الذهن، لأن الأصل في علم أصول الدين أنه يدور في إطار اليقينيات، خلافاً لعلم أصول الفقه الذي قد يقع فيه القطع وغلبة الظن.

لذا حدد علماء الأصول أن الظني إذا خالف القطعي يُرد ولا يعتد به، كما يقول الشاطبي:" كل دليل شرعي إما أن يكون قطعياً أو ظنياً، فإن كان قطعياً فلا إشكال في اعتباره... وإن كان ظنياً، فإما أن يرجع إلى أصل قطعي أولاً، فإن رجع إلى قطعي فهو معتبر أيضاً، وإن لم يرجع وجب التثبت فيه، ولم يصح إطلاق القول بقبوله"(١٢).

---

(١٢) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٤٩٩، انظر كذلك سامي الصلاحات: **القطع والظن في الفكر الأصولي**، (الكويت: مكتبة الفلاح للتوزيع، ط١، ٢٠٠٣)، مبحث **[مرتكزات أساسية في فهم القطع والظن عند الأصوليين]**.

المبحث الأول
مقصد الدين عند علماء الشريعة والأصول

الحفاظ على مقصد الدين ضرورة كلية عند كل المؤمنين وأتباع الديانات، "بل مراعاة في كل ملة، وإن اختلفت أوجه الحفظ بحسب الملة"(١٣)، وفي ديننا أن "الغرض من استيفاء قواعد الإسلام طوعاً أو كرهاً، والمقصدُ الدين"(١٤).

غير أن أهميته تزداد في ظل المنظور الأصولي للمصلحة الشرعية المترتبة على هذا الدين، فمن المصالح الدينية من تصل إلى مرتبة الضرورية، كالإيمان بالله عز وجل، فهذا أس الدين وأصله، أو اليوم الآخر، وغيره من المصالح الدينية الأصولية، والتي يُعبر عنها في الدين الإسلامي بأركان الإيمان، وهي التي عبر عنها ابن عبد السلام ٦٦٠هـ بقوله: "فلا سعادة أصلحُ من العرفان والإيمان وطاعة الرحمن، ولا شقاوةَ أقبحُ من الجهل بالدَّيان والكفر والفسوق والعصيان"(١٥).

ولأن الدين – وهو ضروري –، هو مصلحة للعبد أوجبها الله، وهي شريفة في ذاتها، دافعة لأقبح المفاسد، وجالبة لأرجح المصالح، فالإيمان بالله، وهو النتيجة المترتبة على الدين، تجلب مصالح عاجلة، مثل إجراء أحكام الإسلام، وصيانة النفوس والأموال، كما أنها تجلب مصالح آجلة، كالخلود في الجنان، ورضى الرحمن(١٦).

ومنها: ما يصل إلى مرتبة الحاجة، مثل العبادات والشعائر الدينية، المكملة لشروط الإيمان، كالصلاة والصوم والحج، وغير ذلك من الشعائر والعبادات،

---

(١٣) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ٢/١٠٩.

(١٤) الجويني، **غياث الأمم في التياث الظلم**، ص١٨٣.

(١٥) ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**، تحقيق: نزيه حماد وعثمان ضميرية، (دمشق: دار القلم، ط١، ٢٠٠٠)١، /١١.

(١٦) ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**، ١/٧٥.

وهي مصالح معتبرة، لأنها "باقية أبد الآبدين، ودهر الداهرين، مع ما يبتنى عليها من رضا رب العالمين"[(١٧)].

ومنها ما يصل إلى مرتبة التحسيني، كنوافل الخير والطاعات للعبادات وأعمال الخير.

وإذا كان إمام المقاصديين الشاطبي ٧٩٠هـ يرى أن الضروريات الخمس، وهي "الدين والنفس والنسل والعقل والمال"، باعتبار أن الأمة قد اتفقت على "أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس.. وعلمها عند الأمة كالضروري"[(١٨)]، لا بد أن تحفظ وتصان، وهذه الضروريات لا تحفظ إلا بمسلكين أساسيين[(١٩)]:

(الأول) الحفظ من جانب الوجود، وذلك بإقامة أركانها وتثبيت قواعدها وتنميتها، فالدين، وهو محور دراستنا، فإن من جوانب حفظ الدين: إقامة العبادات كالصلاة والصيام، فإقامة هذه العبادات والشعائر هي أطر لحفظ الدين من الاستئصال أو الزوال، كما يقول الجويني ٤٧٨هـ: "حفظ الدين بأقصى الوسع على المؤمنين، ودفع شبهات الزائغين"[(٢٠)].

يقول ابن عاشور رحمه الله: "فحفظ الدين معناه: حفظ دين كل أحد من المسلمين أن يدخل عليه ما يفسد اعتقاده وعمله اللاحق بالدين، وحفظ الدين بالنسبة لعموم الأمة هو دفع كل ما من شأنه أن ينقض أصول الدين القطعية، ويدخل في ذلك حماية البيضة والذب عن الحوزة الإسلامية، بإبقاء وسائل تلقي الدين من الأمة حاضرها وآتيها"[(٢١)].

---

(١٧) ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**، ٢/٢٢.

(١٨) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٣٦.

(١٩) يوسف العالم، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**، ص٢٢٦، عبد الرحمن الكيلاني، **قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي**، ص١٦٩.

(٢٠) الجويني، **غياث الأمم في التياث الظلم**، ص١٨٤.

(٢١) ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الميساوي، (عمان: دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١)، ص٣٠٣.

وتظهر صور المحافظة على الدين في أرض فلسطين، من خلال المحافظة على الدين الإسلامي وشعائره: كالصلاة والصوم والزكاة، وصون مقدساته، لا سيما المسجد الأقصى، والتصدي لمحاولات الصهاينة في تدميره أو هدمه، أو بناء هيكل سليمان المزعوم كذباً وافتراءً على سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وزيادة سواد المسلمين في رص الصفوف، والوحدة أمام محاولات تذويب الهوية الإسلامية للأجيال المسلمة القادمة على أرض فلسطين، وغيرها كثير من الصور والأشكال.

(الثاني) حفظها من جانب العدم، بدرء الاختلال الواقع أو المتوقع عنها، وهذا واضح في جانب الجنايات والعقوبات الشرعية المترتبة عليها، فقتل المرتد عن الدين هو بذاته حفظ للدين وأصوله، لأن ذلك سيشكل عامل ردع لكل من تسول له نفسه الاستخفاف بالدين أو جعله مطية لأهداف وأغراض، ولعل النص الشرعي في هذا واضح، قال صلى الله عليه وسلم: "**من بدل دينه فاقتلوه**"(٢٢).

وفي هذا الجانب، يمكن لعلماء الشريعة والدين أن يروا رأيهم في الجاسوس والعميل الذي يسعى للتمكين لأعداء الدين في القضاء على الإسلام وأهله، فهؤلاء يمثلون خطراً حادقاً بالإسلام، ويتربصون بأهله الدوائر، وهنا ينظر لكل حالة على حدة، قد تصل في بعضها إلى قتل هذا الجاسوس أو العميل إذا كان خطره واقعاً وبيناً، وهذا يندرج ضمن أصول حفظ الدين والمجاهدين عن الدين وأهله.

أو كالجهاد في سبيل الله ضد الكافرين والمعتدين، ففيه حفظ لبيضة الدين من الاستئصال على يد هؤلاء، لذا تزول النفس والمال والنسل والعقل، كل هذه الضروريات من أجل حفظ الدين، الذي هو في الحقيقة أس كل هذه

---

(٢٢) انظر: **صحيح البخاري**، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، **وسنن أبي داود**، كتاب الحدود، الحكم فيمن ارتد، **سنن ابن ماجه**، كتاب الحدود، المرتد عن دينه.

الضروريات، ومن دونه لا معنى لهذه الحياة بأكملها؛ تصديقاً لقوله عز وجل وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، سورة الذرايات، ٥٦.

ومن ذلك: محاربة البدع والخرافات المخالفة للعقيدة الإسلامية، أو المعاصي والجرائم، من خلال الحدود والتعزير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الأساليب والوسائل الحافظة للدين وأصوله.

وهنا لا بد من توضيح أمر ذي بال، أشار إليه علماء الشريعة قديماً، وهو أن قتال غير المسلمين، أو ما يسمى شرعاً بـ" الكفار"، العلة فيه تنصب على الحرابة والإفساد منهم، وليس بسبب وصفهم بالكفر، وقد ذهب جمهور العلماء إلى ذلك، لنصوص وأدلة شرعية عديدة، أبرزها قوله عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾، سورة البقرة، ١٩٠.

أي أن استهداف غير المسلمين، لا سيما اليهود والنصارى، على توصيف أنهم غير مسلمين حقيقةً، في ظل نصوص القرآن والسنة في هذا، مما يعني أنهم لا يقتلون ولا يعتدى عليهم بسبب دينهم، وإنما يباح التعدي عليهم لاعتدائهم على المسلمين.

فإذا كان أصل الدين هو أصل الضروريات، فمن باب أولى أن يكون أصلاً لما سواه من الحاجيات والتكميليات، وعلى حد قاعدة الإمام الشاطبي، أن "**الضروري أصل لما سواه من الحاجي والتكميلي**[٢٣]، **ولأن به أي الدين الرابط الوحيد ما بين الدنيا والآخرة،** ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ سورة القصص، ٧٧.

والملاحظ: أن هذا الحفظ سيشكل قاعدة أساسية في كل المصالح والمفاسد التي قد تترتب على تداخل القضايا والوقائع، فإذا كان تعارض المصالح الضرورية، يكون تقديم الدين هو الأصل المنعقد عليه الأصول، فشرع الجهاد لحفظ الدين، علماً أن فيه ضياعاً وتلفاً للأنفس، ولأن باختلال الدين يلزم

---

(٢٣) عبد الرحمن الكيلاني، **قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي**، ص٢٠٥.

منه اختلال الباقيين بإطلاق، وعلى هذا تجب المحافظة على الحاجيات والتكميليات من أجل الحفاظ على الضروري، وهو الدين(٢٤).

وفي هذا الأمر نقول: إن دارسة الأحداث والوقائع السياسية على حدة لا تجدي في فهم الإطار العام لهذه القضية المركزية، بل لا بد من ربط بين جزئيات هذه الوقائع للوصول إلى نتائج كلية ولا تفيد طروحات مجزأة، لا تشمل الصورة الكلية.

إذ إن المحال "أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها، فمن أخذ بنص - مثلاً - في جزئي معرضاً عن كليه فقد أخطأ"(٢٥).

ولا يجوز - بحال من الأحوال - أن نتعامل مع الأحداث والوقائع السياسية بمسلك الظنون والتحري عن الحقيقة بالشك والتوهم، بل الأصل تحصيل ذلك بمقاصد شرعية قطعية، تفتح لنا مناهج صحيحة وواضحة في معرفة غور هذه الأحداث والوقائع السياسية، ولعل من المناهج التي يمكن الاستدلال بها على نجاعة مقاصد الشريعة في التعاطي مع الأحداث السياسة لقضية فلسطين، اعتمد منهج "الاستقراء"، وهو كما يقول الشاطبي ٧٩٠هـ "جملة من أدلة ظنية تضافرت على معنى واحد حتى أفادت فيه القطع، فإن للاجتماع من القوة ما ليس للافتراق، ولأجله أفاد التواتر القطع"(٢٦).

---

(٢٤) الكيلاني، **قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي**، ص٢١٤، ص٢٣٠.

(٢٥) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ٢/٧.

(٢٦) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٣٥.

المبحث الثاني
معالم دين في مسار الصراع

هذا المبحث يتناول أهم المعالم الأساسية في طبيعة الصراع بين اليهود والمسلمين على أرض فلسطين، إذ به يُعرف أن الصراع في فلسطين هو صراع ديني وليس سياسياً أو اقتصادياً، وإن كانت له دلائل وشواهد، إلا أنها في المحصلة تصب في الأساس الديني للصراع.

هذا الصراع الديني له شواهد ودلائل في أرض المعركة، ولا يمكن للعاقل أن يزعم خلاف ذلك، فاليهود يزعمون أن" ثمة يمين وثمة يسار، اليمين هو إسرائيل، واليسار هو باقي الشعوب الوثنية، اليمين جنة واليسار جحيم"[(٢٧)].

ولعل في أعمال اليهود الإجرامية من قتل واغتيال وتدمير واعتقال، ما دعا أحد المنظرين السياسيين اليهود في خضم انتفاضة الأقصى إلى التحذير من خطر لفت انتباه المسلمين إلى أن المعركة هي معركة دينية أو عقدية، كما يقول رئيس الكنيست الصهيوني السابق ابراهام بورغ من حزب العمل المعارض: **"إن إسرائيل حولت الصراع مع الفلسطينيين من صراع سياسي إلى صراع ديني، وأنه لا يمكن حل صراع ديني بالطرق الدبلوماسية"[(٢٨)].**

ومعالم هذا الصراع تتشكل في: **الإنسان، والمكان، والزمان،** فالإنسان تتمثل في العداء الشخصي لليهود تجاه الإسلام والمسلمين، أما في المكان فيتحدد في قداسة بيت المقدس عند المسلمين وفي المقابل مكان الهيكل المزعوم في فكر اليهود الديني، أما الزمان، فيتحدد في نهاية التاريخ ونزول المسيح عليه السلام في فكر الأديان السماوية جميعاً.

لذا، يمكن حصر أهم المعالم الدينية الأساسية في هذا الصراع، وهي:

---

(٢٧) سفر رخلافسكي، **حمار المسيح، الأصولية اليهودية**، ص٢٤١.

(٢٨) **جريدة القدس العربي**، ٢٧ مارس ٢٠٠٤.

أولاً: قدسية مكان الصراع

فالنظرة الإسلامية لأرض فلسطين تعد نظرة ذات خصوصية، إذ أن مجمل النصوص الدينية – سواء أكانت في القرآن أم السنة الصحيحة – تشكل قواطع يقينية على مكانة أرض فلسطين من الناحية الشرعية، وهذه القواطع تعتمد بشكل أساس على القواطع الثبوتية والقواطع الدلالية كما يرى الأصوليون، فمن هذه النصوص:

النصوص القرآنية، وهي على العموم:

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾، سورة الإسراء، ١. قوله: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ سورة الأنبياء، ٧٠، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ سورة سبأ، ١٨.

أما النصوص الحديثية الصحيحة، فهي كذلك تشير بقوة وبدلالات واضحة قطعية على أرض فلسطين، وهي بمجموعها تدل على التواتر المعنوي المستقرأ من مجموع هذه النصوص، والتي يراها علماء الأصول والشريعة وغيرهم من علماء المنطق أن الاستقراء يشير إلى نوع من القطع واليقين، وهذا ما دلت عليه نصوص الشريعة، ومن بينها نصوص الحديث، ومنها:

قوله صلى الله عليه وسلم: "**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى**"(٢٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسائة صلاة**"(٣٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس: "**أرض المحشر**

(٢٩) **صحيح البخاري**، فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.
(٣٠) أخرجه **البزار والطبراني** مرفوعاً، من حديث أبو الدرداء.

والمنشر"[٣١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**عقر دار الإسلام بالشام**"[٣٢].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قيل: يا رسول الله أين هم؟، قال ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس**"[٣٣]، وغيرها من النصوص، إضافة على أنها مهبط الملائكة وفيها جمع من قبور النبيين والصالحين والشهداء.

في المقابل، ينظر اليهود إلى مكان الصراع بالأهمية ذاتها، إذ أن أرض فلسطين مقدسة عندهم، فهي أرض الميعاد The Promised Land، أو "Eretz Yisreal" إرتس يسرائيل – أي أرض إسرائيل، فهي جزء من صميم جوهر قضيتهم، "واليهودية في إرتس يسرائيل هي الخلاص نفسه"[٣٤].

يقول ابن غوريون رئيس الوزراء اليهودي الأسبق عام ١٩٤٨م في الأمم المتحدة: "وقد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل، ولذلك وجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وأن كل

(٣١) **سنن ابن ماجه**، ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس.

(٣٢) انظر: **سنن النسائي**، باب الخيل، وفي رواية الإمام أحمد: أن سلمة بن نفيل أخبرهم:" أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها؟، قلت: لا قتال، فقال: له النبي صلى الله عليه وسلم: الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل، وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة". **مسند الإمام أحمد**، حديث سلمة بن نفيل، كذلك: **صحيح ابن حبان**، كتاب إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، باب الحجاز واليمن والشام.

(٣٣) **مسند الإمام أحمد**، باقي مسند الأنصار، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وكذلك **سنن ابن ماجه**، كتاب الفتن.

(٣٤) أيان لوستك، **الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩١)، ص ٤١، كذلك انظر: ٣٠٠٠ Years of Jerusalem History, see this site: www.about.judaism.com

يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها، يعد مخالفاً لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي "[٣٥].

وتزداد الأهمية في بيت المقدس على وجه التحديد والتعيين، في حين يقابل ذلك عند اليهود مزاعم جبل الهيكل Temple Mount، أو هيكل سليمان عليه السلام، والهيكل عندهم هو بيت الإله، ومكان العبادة المقدس خلال الفترة ما بين عهد النبي موسى والنبي سليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

وقد مر الهيكل – أو بيت العبادة عندهم – في عدة مراحل تاريخية[٣٦]، منذ عهد سليمان عليه الصلاة والسلام (٩٦٥–٩٢٨ قبل الميلاد)، إلى أن تم تعريضه للهدم عن طريق القائد البابلي نبوخذ نصر عام (٥٨٦ قبل الميلاد)، ثم الملك قورش من الفرس إلى عهد الأغريق على يد الاسكندر المقدوني (٣٣٢ قبل الميلاد)، مروراً بثورة المكابيين سنة ٧٦ قبل الميلاد[٣٧].

أما المزاعم الصهيونية أو اليهودية في أرض فلسطين، فهي تدعي بأن المسجد الأقصى بالقدس هو محل الهيكل، وبالتالي فإن العمل سيتسمر حتى العثور عليه، وهذا ما أكده أول رئيس وزراء صهيوني ابن جوريون: "لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل "[٣٨].

وهناك أكثر من (١٥) جماعة يهودية متطرفة تدعو جهاراً بضرورة هدم المسجد لبناء الهيكل، ولعل من مخططاتهم ما ذكرته مؤسسة الأوقاف بالقدس

---

(٣٥) نقلاً عن محمد أبو زيد، **أرضُ الميْعَاد**، نقلاً عن الموقع الفلسطيني للإعلام. palestine-info.www

(٣٦) انظر بتوسع: **حائط البراق وليس حائط المبكى**، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠١)، ص١٩ وما بعدها.

(٣٧) تحرير: توماس تومبسون، **القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٣)، ص٢٤٥.

(٣٨) حائط البراق، ص ٢١، محسن صالح، **دراسات منهجية في القضية الفلسطينية**، (ماليزيا، دار الفجر، ط١، ٢٠٠٣)، ص٥٦.

الشريف، هو سرقة طائرة عسكرية يهودية محملة بالمتفجرات، لتضرب وتدك مبنى المسجد[٣٩].

ولعل من أبرز هذه الجماعات، جماعة أمناء الهيكل، التي تأسست عام ١٩٦٧، أي بعد احتلال المدينة المقدسة على يد الجيش الصهيوني، ولعل من أبرز أعمال هذه الجماعات المتطرفة حفر الأنفاق تحت المسجد بحثاً عن آثار الهيكل، والعمل بكل قوة على تهويد المدينة وشطب كل الملامح الإسلامية عنها.

ويأتي هذا التهويد في ظل حملة ثقافية دينية صرفة لتحقيق هذا الأمر، ولعل في كتابات اليهود المعاصرة ما يدل على ذلك بقوة ووضوح، منها على سبيل المثال لا الحصر، دراسة يسرائيل ميداد Yisreal Medad بأن جبل الهيكل سيعود، The Temple Mount Is in Our Hands, The Time Has Come.

وهذه الجماعات تتلقى الدعم من الحكومة الصهيونية ومن الجماعات الأصولية المسيحية الإنجيلية في شتى بقاع الأرض، وعلى وجه التحديد في الولايات المتحدة الأمريكية، يقول أحد المنظرين المسيحيين لدعم مثل هذه الجماعات المتطرفة، القس هول ليندسي في كتابه The Last Late Planet Earth: "لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية، وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم"[٤٠].

وقد ازداد الدعم المسيحي الإنجيلي لليهود المتطرفين بعد انتفاضة الأقصى، ولعل من أبرز الحركات العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية في هذا حركات: "قفوا إلى جانب إسرائيل"، "الأخوة المسيحية واليهودية الدولية"، "مسيحيون مناصرون لإسرائيل"، ويقوم الإنجيليون بجمع التبرعات لإسرائيل من (١٠٠) ألف كنيسة إنجيلية في الولايات المتحدة[٤١].

---

(٣٩) نقلاً عن موقع الجزيرة الإخباري، شهر سبتمبر ٢٠٠٤، انظر:.

(٤٠) نقلاً عن: **حائط البراق وليس حائط المبكى**، ص٢٤.

(٤١) محمد حسن، **موقف المذاهب المسيحية من الصهيونية**، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٣)، ص٩.

فهناك أكثر من حالة فردية تشير إلى مدى الحماس الديني لدى أفراد مسيحيين أو يهود في إقامة الهيكل، على سبيل المثال لا الحصر، ثرية أمريكية من الحزب الجمهوري تنشط في الدعوة والعمل على بناء الهيكل الثالث المزعوم، وهي الأمريكية "أورلي بني – ديفيس" ٤٢ عاماً، التي نظمت مؤتمراً حاشداً بتاريخ ٢٦ يناير ٢٠٠٥ "مباني الأمة" في القدس المحتلة، حيث مولت هذا المؤتمر كاملاً من جيبها الخاص، في سبيل تحقيق الهدف الذي وضعته نصب أعينها ألا وهو بناء الهيكل الثالث المزعوم، وهي ترى أنه " سيكون لبناء الهيكل مردود اقتصادي مهماً لـ (إسرائيل)، ويمكن تسويقه سياحياً بشكل جبار، مقارنة ذلك بحاضرة الفاتيكان في إيطاليا التي يزورها الملايين من البشر سنوياً.. الهيكل والقدس أرض مقدسة "(٤٢).

ولعل الصراع هذا على بناء الهيكل يتعلق في أحد أسبابه الرئيسة في معركة هرمجدون، ونزول المسيح عليه السلام في زعمهم.

والآن يسعى اليهود بكل ما يملكون بعد احتلال المدينة والسيطرة على المسجد تكثيف وجودهم في حائط البراق، – وهو الحائط الغربي للمسجد، والذي ربط فيه النبي صلى الله عليه وسلم دابته في رحلة الإسراء والمعراج – وهو الحائط الذي يسمونه حائط المبكى، لأنه باعتقادهم بقية من السور الخارجي للهيكل الذي رممه هيرودس في عام (١١ قبل الميلاد)، ودمره تيطس عام (٧٠ ميلادية)، وعند التوافد عليه يتذكرون أمجادهم فيبكون، فسمي لذلك حائط المبكى أو الحائط الغربي بالعبرية "هاكوتيل همعرافي".

ولعل في عقائد اليهود وشريعتهم المسمى بـ "الهالاخا" تعتمد بصورة أساسية على إقامة شعائرهم ومعتقداتهم بناءً على المكان المقدس في نظرهم، وهو مكان بيت المقدس، بل تسفك الدماء وتهرق بناءً على أن هذه الأرض مملوكة لهذا "الشعب المختار"، ففي سفر الخروج، Exodus، الإصحاح ٢٣، جاء فيه: "فإن ملاكي يسير أمامك ويجيء بك إلى أرض.. فأبيدهم"، وفي موضع آخر من سفر التثنية Deuteronomium، أو تثنية الشريعة، ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت الشريعة والتعاليم، الإصحاح ٧، "لا تقطع لهم عهداً، ولا

---

(٤٢) انظر: **الموقع الفلسطيني للإعلام**، (www.palestine-info) بتاريخ ٢٧ يناير ٢٠٠٥.

تشفق عليهم، ولا تصاهرهم، لأنك أنت شعب مقدس للرب، إياك قد اختار الرب لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين هم على وجه الأرض"(٤٣).

ثانياً: طبيعة العداء اليهودي للإسلام

لما سُئل عبد الله بن المبارك عن سبب قتاله الروم، كان يقول رحمه الله: "إن هؤلاء يقاتلون عن دين"(٤٤)، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأم خلاد، "**إن ابنك له أجر شهيدين**"، قالت: ولم ذاك يا رسول الله، قال: "**لأنه قتله أهل الكتاب**"(٤٥).

وهذا ما أكده شيخ الإسلام بقوله: "ولهذا كان جهاد أهل الكتاب أفضل من جهاد الوثنيين، وكان من قتلوه من المسلمين له أجر شهيدين"(٤٦).

ويزداد الأمر ويتأصل إذا تمحور هذا في اليهود، إذ إن عداوة اليهود للإسلام لا تحتاج إلى توضيح أو تفسير، هذا فضلاً عن العنصرية الزائدة التي يتحلى بها اليهود دائماً عن باقي الأمم والشعوب.

فإذا كانت "إسرائيل"، تعني بالعبرية من يجاهد مع الرب، أو الله يصارع، وقد اطلق قرآنياً وتاريخياً على سيدنا يعقوب عليه السلام(٤٧)، وهذه قصة واردة في كتاب التوراة.

---

(٤٣) تحرير: توماس تومبسون، **القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٣)، ص٥٦ص٥٧.

(٤٤) ابن قدامة، **المغني**، تحقيق: عبد الله التركي، عبد الفتاح الحلو، (الرياض: دار عالم الكتاب، ط٣، ١٩٩٧)، ٢١/١٠.

(٤٥) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب فضل الروم على غيرهم من الأمم، كذلك انظر: **سنن البيهقي**، كتاب السير، باب ما جاء في فضل قتال الروم وقتال اليهود.

(٤٦) ابن تيمية، **إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم**، ص١٩٢.

(٤٧) الأصل أن إسرائيل تشير في القرآن إلى سيدنا يعقوب عليه السلام، كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾، سورة آل عمران، ٩٣. ومن هذا المنطلق الشرعي الأصل أن لا نطلق على دولة الاحتلال الصهيوني كلمة "إسرائيل"، إكراماً لسيدنا يعقوب عليه السلام، الأصل الشرعي أن يقال عنهم: يهود، أو صهاينة، أو محتلون، ولا يقال "إسرائيليون"، أو "دولة إسرائيل"، أو "حكومة إسرائيل"، فهم لا يستحقون النسبة إلى يعقوب عليه السلام.

لذا، وحسب المفهوم اليهودي التوراتي فإن من يقاوم إسرائيل يقاوم الله(٤٨).

وفضلاً عن التوزيع العنصري الذي يعتمده اليهود مع غيرهم من الجنس البشري، فهم شعب الله المختار، أصحاب الزعم أنهم اتباع نجمة داود عليه السلام Star of David، أصحاب الدم النقي الصافي، المرتبط بالرب سبحانه، أو بعبارتهم أن "حياة إسرائيل من حياة الرب"(٤٩)، – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – وغيرهم من "الجوييم" Goyem، أي الغرباء أو الأدناس.

بل هل يعد الجوييم في الفكر اليهودي الديني "أصحاب نفس أما لا (؟!)"(٥٠)، إن الأصل في أدبيات اليهود أن الجوييم هم "اهائم، شعب يشبه الحمار"(٥١).

ففي سفر العدد Numeri، [١٣/٣١]، جاء فيه وصية قتل غير اليهود، كما ورد في السفر: "والآن قتل كل ذكر بين الصغار، وكل امرأة عرفت رجلاً ضاجعها"(٥٢)، لاحتمال حملها جنيناً.

وهذا ما نشاهده في عمليات جيش الاحتلال في فلسطين استهداف الرجال والنساء، الصغار والكبار معاً.

---

(٤٨) انظر: منى الياس، **الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠١)، ص١٥، ص٣٩.

(٤٩) سفر رخلافسكي، **حمار المسيح، الأصولية اليهودية**، ص١٩٧.

(٥٠) بل في مسألة إنقاذ الروح، أنه لو كان هناك مكان فيه غوييم وإسرائيليين، بل ألف غوي وإسرائيلي واحد، وحدث انهيار على الجميع، في هذه الحالة ننقذ الجميع بمعية الإسرائيلي. انظر بتوسع: سفر رخلافسكي، **حمار المسيح**، ص١٠٩، ص١٢٦.

(٥١) سفر رخلافسكي، **حمار المسيح، الأصولية اليهودية**، ص١١٩.

(٥٢) نقلاً عن: محمد عمارة، **موقف اليهودية التلمودية من الأغيار**، مجلة القدس، (القاهرة: أغسطس ٢٠٠٢، العدد ٤٤)، ص١٠٠. والسبب في تقدير هؤلاء أن مجامعة الأجنبي لا تعد زنا، إذ أنه مكتوب أن لحمهم كلحم الحمير، وفي البهائم لا يوجد زنا، مضاجعة الغوي تعد كمضاجعة البهيمة. سفر رخلافسكي، **حمار المسيح، الأصولية اليهودية**، ص١٢٧.

بل يرى موسى بن ميمون ٦٠١هـ وهو فيلسوف يهودي عمل طبيباً للقائد صلاح الدين الأيوبي، أن الشريعة التلمودية ترى أنه "يجب ألا نتسبب بقتل غير اليهود الذين لسنا في حالة حرب معهم، ولكن يحظر إنقاذ حياتهم إذا كانوا على مشارف الموت"(٥٣).

وهذا ما عبر عنه الرامبام، النسر الأعظم في توصيف اليهود المتدنيين، في فتوى الغوييم "لا ندفع ولا نرفع"(٥٤)، أي لا نقتله ولا نساعده في حال كانت القوة للأغيار.

ومن هذه العنصرية اليهودية، يحرم معالجة غير اليهودي حتى ولو كان بأجر، ولو كنت تخشاه فيحق لك أن تعالجه بأجر، ومن المسموح عندهم تجربة عقار على غير اليهودي، ولو زنا يهودي بامرأة غير يهودي لا حرج عليه، لا زوجة أخيك "اليهودي"، لأن من المفترض أن "جميع غير اليهوديات عاهرات"(٥٥). ما أن النظرة العنصرية اليهودية " ادينية" تمنع بيع العقارات في "أرض فلسطين" لغير اليهود، بحسب ما ورد في سفر الخروج "لن يسكنوا أرضك"(٥٦)، أي الأغيار.

ويمثل المسلمون والعرب طليعة هؤلاء الأغيار، فمثلاً يرى الرابي دوب ليئور وهو المرجع الديني للمجرم الطبيب باروخ غولدشتاين الذي قتل عشرات المسلمين في الحرم الخليلي في شهر رمضان ١٩٩٩م أن "تعريف البريء لا ينطبق على السكان العرب كلهم، .. نساء وأطفال وأولاد"(٥٧).

وبناء على ذلك، صار كل من ينتقد اليهود أو التعريض بهم، كأنه حاز على لقب ضد السامية، أو بالاصطلاح الحديث من دعاة اللاسامية Anti Semitism،

---

(٥٣) محمد عمارة، **موقف اليهودية**، ص١٠١، نقلاً عن إسرائيل شاحاك، **الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود**، ص١٤١ وما بعدها.

(٥٤) سفر رخلافسكي، **حمار المسيح، الأصولية اليهودية**، ص١١١.

(٥٥) محمد عمارة، **موقف اليهودية التلمودية من الأغيار**، ص١٠٢.

(٥٦) محمد عمارة، **موقف اليهودية التلمودية من الأغيار**، ص١٠٤.

(٥٧) سفر رخلافسكي، **حمار المسيح، الأصولية اليهودية، الحاضر والجذور**، ص١٠٣.

وهذا أصبح ظاهرة قائمة بسبب التحالف القوي بين اليهود والإنجيليين في الولايات المتحدة، وإصدار قانون ضد كل من يتجاوز التعريض باليهود في الولايات المتحدة وفرنسا كقوانين يتم تطبيقها.

ولا يخفى علينا اليد الخفية The Hidden Hand لليهود في تأليب العالم ضد الوعي الثقافي ضد مخططاتهم ومؤامراتهم في تحطيم الشعوب والأمم لصالحهم.

وهنا، يتحتم علينا الإيمان بأن عداوة اليهود للإسلام والمسلمين هي عدواة متأصلة في نفوسهم وقلوبهم، وهذا تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ سورة المائدة، ٦٤، وقوله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ سورة المائدة، ٨٢.

والسبب في جمع اليهود مع المشركين ها هنا، كما يقول ابن عاشور "وذكر المشركين مع اليهود لمناسبة اجتماع الفريقين على عدواة المسلمين، فقد ألّف بين اليهود والمشركين بُغض الإسلام، فاليهود للحسد على مجيء النبوة من غيرهم، والمشركون للحسد على أن سبقهم المسلمون بالاهتداء إلى الدين الحقّ ونبذ الباطل"[(٥٨)].

يقول ابن تيمية ٧٢٨هـ: "وجماع ذلك، أن كفر اليهود أصله، من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق، ولا يتبعونه قولاً أو عملاً"[(٥٩)].

وذهب ثلة من علماء التفسير إلى بيان خطر وعدواة اليهود على المسلمين، وهنا النص عام ليشمل كل اليهود[(٦٠)]، بغض النظر عن تقسيمات اليهود سواء

---

(٥٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١، ٢٠٠٠)٥/،١٨٣.

(٥٩) ابن تيمية، **إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم**، (بيروت: دار الفكر، ط.ت.)، ص٥.

(٦٠) شهاب الدين الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: محمد الأمد، عمر السلامي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٠)، ٥/٧.

منهم المحافظون Orthodox وغير المحافظين Un Orthodox، كما يريد البعض تقسيم اليهود إلى يمين ويسار، وأن اليسار هم أقرب للمسلمين من اليمين المتطرف، كالعلمانيين اليمنيين كحزب الليكود، أو أحزاب اليمنيين المتدينة مثل شاس أو المفدال، وكل هذه التقسيميات بعيدة كل البعد عن المضمون القرآني لوصف اليهود.

وقد علل ابن كثير ٧٧٤هـ - أحد علماء التفسير - بأن ذلك يعود إلى أن كفر اليهود كفر عناد وجحود ومباهتة للحق، وغمط للناس " ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء، حتى هموا بقتل الرسول صلى الله عليهم وسلم غير مرة، وسموه وسحروه، وألَّبوا عليه أشباههم من المشركين، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة "(٦١).

يقول الأستاذ سيد قطب في فحوى هذا العداء:" وتضمن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل، التي لم تخبُ لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرناً، وما تزال حتى اللحظة يتسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعاً "(٦٢).

هذا فضلاً على أن اليهود قد تبدلت حالهم بعدما كفروا وقتلوا الأنبياء وعصوا الرسل، ونقضوا المواثيق، وأكلوا أموال الناس بالباطل، فلا يحل لهم أن يكونوا أوصياء على الخلق، أو أمة من خير الأمم، وحالهم في فلسطين يصدق هذا، من قتل للأبرياء والعزل من الناس.

وفي هذا الشأن، نؤكد على خطر التحالف القائم ما بين اليهود وبعض

---

(٦١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: المجلس التحقيق العلمي، (الشارقة: دار الفتح، ط١، ١٩٩٩)٣،/٢٢٢.

(٦٢) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط٣٢، ٢٠٠٣)٢،/ ٩٦٠.

الجماعات النصرانية، لا سيما تلك المتطرفة، والتي تغافلت عن محاولة اليهود قتل المسيح عليه السلام، ومحاربة أتباعه، للتصدي للمسلمين.

ثالثاً: نهاية الصراع في الفكر الديني

تشكل إشكالية نهاية العالم، أو بداية العالم الأخروي، عند الأديان السماوية مثار نقاش وجدل، إذ به يُعرف حقيقة ما صح في هذه الكتب السماوية من مصداقية عند أصحابها وأتباعها.

أما إشكالية نهاية العالم في المعتقدات الدينية، فكل الأديان، اليهودية والنصرانية والإسلام تؤمن بعودة المسيح عليه السلام، – أو بـ "الخلاص النهائي" على توصيف الفكر الديني اليهودي والمسيحي، والدراسات التي تأتي في هذا الصدد، كالتوقعات المسيحية، والتي تنتظر عودة المسيح، أو الحركات المسيحية الأصولية ذات العقيدة الألفية، " أي العقيدة التي ترى بعودة المسيح ليحكم العالم ألف عام وغير ذلك من العقائد – غير أن الكيفية التي يأتي بها والدور المنوط به، فيه خلاف جذري بين هذه الأديان.

وتُعدُّ فكرة المسيحانية فكرة مختلطة بين الفكرين الديني المسيحي اليهودي، استفاد منها اليهود في مفهوم الاستعلاء اليهودي على الأمم، فالمسيح ما هو إلا رسول من الرب لينصر شعب الله المختار على أعدائهم، أي أن المسيح ما هو إلا واسطة من الرب لليهود وليس للنصارى(٦٣).

وقد شهد عام ١٤٩٢م، استرداد النصارى لغرناطة بالأندلس، وبداية نهوض الحملات الصليبية ضد المسلمين، وتم طرد اليهود من أسبانيا، كما تم اكتشاف الولايات المتحدة، في نفس العام، حيث تأسس معه بداية التكون العقدي ما بين اليهودي والمسيحي حول عودة المسيح والألف السعيدة من بعده.

---

(٦٣) طاهر شاش، **التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده**، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٩٧)، ص١٩.

والاعتقاد الذي يؤمن به اليهود – لا سيما في الاعتقاد المسيحي البروتستانتي(٦٤) – هو أن المسيح سيعود من جديد ليحكم العالم في الألف عام السعيدة، بعد أن يواجه المسيح الدجال ويقضي عليه، كما ورد في نصوصهم(٦٥):

"Jesus, our rejected Messiah, on the Mount of Olives, looking across the Kidron Valley towards Jerusalem, during the Passover of His crucifixion in 32 A.D".

وهذا الاعتقاد المسيحي تجذر منذ كتاب لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) مؤسس المذهب البروتستانتي في المسيحية، الذي صدر عام (١٥٢٣)، وعنوانه "المسيح ولد يهودياً"، يقول فيه: "إن روح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات مائدة أسيادها"(٦٦).

ويعتقد أن المذهب البروتستانتي هو القاعدة التي انبثقت عنها فكرة المسيح، أي اندماج الفكر العقدي المسيحي اليهودي في ظل أساطير وخرافات

---

(٦٤) ولعل في القواسم المشتركة ما بين اليهود والنصارى يتحدد في الكتاب المقدس، لا سيما وأن الكتاب المقدس الشامل على: **[العهد القديم]**، الذي يشمل أسفار التوراة الخمسة، التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام. و**[العهد الجديد]** الذي يشمل الأناجيل "متى، مرقس، لوقا، يوحنا"، ثم سفر أعمال الرسل والرسائل، وسفر يوحنا اللاهوتي. انظر بتوسع: أحمد شلبي، **اليهودية**، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط٢، ١٩٦٧)، ص٢١٤.

(٦٥) انظر على سبيل المثال وليس الحصر، بعض المواقع على الانترنيت تشير إلى هذه الواقعة من منظور نصراني ويهودي معاً:

(www.yfiles.com/reject) (aish.com/jewishissues/jewishsociety).

(٦٦) نقلاً عن: رضا هلال، **المسيح اليهودي ونهاية العالم**، (القاهرة: مكتبة الشروق، ط٢، ٢٠٠١)، ص٣٠.

التوراة، وتحقق هذا في الفكر الديني الأمريكي المعاصر، وأصبح هناك تيار ديني رائد في الولايات المتحدة يدعو إلى هذا بوضوح.

ولعل في كتاب أورال روبتس دراما نهاية الزمن Drama Of The End Time – وهو كتاب من سلسلة كتب في هذا الاتجاه تصدر في الولايات المتحدة باستمرار – ما يوضح جذور هذا التيار وعدواته للفكر الإسلامي كدين وتراث مستهدف في الفكر العقدي اليهودي المسيحي.

وازداد هذا الأمر وضوحاً وعلانيةً، في ظهور ما يسمى بـ"حزب الله"[(٦٧)]، وهذا ما اطلقت عليه مجلة القرن المسيحي "Cheristian Century" وهو ائتلاف ما بين اليمين المسيحي ويمين الحزب الجمهوري المحافظ، الحاكم الآن في الولايات المتحدة.

ولم يقتصر الأمر عند المنظرين الدينيين، بل حتى القادة العسكريين، أمثال برونابت نابليون، الذي وقف أمام أسوار عكا بفلسطين في حملته ضد المسلمين عام ١٧٩٩م ليقول: "إن فرنسا تقدم لكم – أي لليهود – إرث إسرائيل.. إن جيشي الذي أرسلتني العناية الإلهية به.. يا ورثة فلسطين الشرعيين.."[(٦٨)]. أي أن هذا الفكر جاء قبل تأسيس دولة اليهود عام ١٩٤٨م بحوالي مائة وخمسين سنة، وبـ (١١٨) من وعد بلفور عام ١٩١٧م.

وازداد الأمر ترابطاً عقدياً بين المسحيين واليهود، بعد احتلال القدس عام ١٩٦٧، والهزيمة الساحقة للعرب أمام اليهود، وصار ذلك تحقيقاً للنبوءات بقرب عودة المسيح عليه السلام.

والكل يعتقد أن هناك كوارث تسبق هذه المرحلة المتقدمة قبل نهاية العالم، عُبر عنها بالتراث اليهودي المسيحي تسمى بـ "مخاض المسيح"[(٦٩)]،

---

(٦٧) رضا هلال، **المسيح اليهودي ونهاية العالم**، ص١٦٥.
(٦٨) رضا هلال، **المسيح اليهودي ونهاية العالم**، ص٣١.
(٦٩) سفر رخلافسكي، **حمار المسيح**، ص٣٣.

وبالأدبيات الإسلامية علامات الساعة الصغرى، إذ أن نزول المسيح عليه السلام من علامات الساعة الكبرى.

لكن هل في عودة المسيح عليه السلام خيراً لليهود Is Messianism good for the Jews بتجمعهم على أرض فلسطين، تمهيداً لقيام العدل والقضاء على أعداء الله!؟ لكن المجمع عليه والذي يعتقد به الإنجليون المتطرفون أن لدولة العدو الحق في البقاء، وأن هذه الدولة لا بد أن تقوم بوظيفة خلاصية(٧٠).

وفي الفكر "اليهومسيحي"، فإن خطوات البداية كانت بـ" المجيء الأول للمسيح"، ثم "عصر الكنيسة"، ثم "اضطهاد اليهود وهدم المعبد"، وقد حدث هذا سابقاً، ثم يأتي المسيح ويدخل "القدس"، ويحكم اليهود أمم العالم، بعد معركة هرمجدون وانتصار المسيح عليه السلام، كما يظن اليهود(٧١).

وبعد انتهاء الحرب الباردة، وبالتحديد بعد سقوط الاتحاد السوفيتي كقوة عظمى، وانتصار الولايات المتحدة في حرب الخليج ١٩٩١، مع بروز النظام العالمي الجديد، بدأت التنظيرات والأدبيات الأمريكية والصهيونية تنادي بضرورة التوسع على حساب العالم الثالث، وبالأحرى استغلال مقدرات المسلمين والعمل بكل ما يملكون في القضاء على أي قوة إسلامية قد تصعد في المستقبل، بناء على تعليمات دينية صرفة وبتفسيرات أصولية كهنوتية.

ففرانسيس فوكوياما، صاحب دراسة "**نهاية التاريخ والإنسان الأخير**"، التي نشرت في مجلة The National Interess، في صيف عام ١٩٨٩، يرى أن الإنسان الليبرالي الديموقراطي آخر مرحلة من مراحل التاريخ، ويرى صموئيل هنتغتون، صاحب دراسة "**صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي**"، التي تبنى بها نظرية فوكوياما، والذي نشرتها مجلة Foreign Affairs، ثم صدر ككتاب عام ١٩٩٦، بعنوان: The Clash Of Civilization And The Remark Of

---

(٧٠) كميل منصور، **الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، ١٩٩٨)، ص٣٢٣.

(٧١) رضا هلال، **المسيح اليهودي**، ص١٩٠.

World Order، بأن الصراعات الرئيسة للسياسات الكونية ستحدث بين المجموعات أو الدول المنتمية لحضارات مختلفة، إذ أن الفروق والاختلافات بين الحضارات أساسية وكبيرة وليست هامشية.

وكذلك دراسات "العربة ليكزس" و"شجرة الزيتون"، للكاتب الصحفي توماس فريدمان. وتصورات ماركس وهيغل عن نهاية التاريخ، وهي كلها دراسات تدرس التاريخ وفلسفة مستقبله[٧٢].

وازداد الأمر وضوحاً، بعد الدعم الأمريكي اللامحدود لدولة العدو في فلسطين، القائم بصورة أساسية على أساس ديني عقدي وسياسي مصلحي، فالتزايد بين أوساط المسيحيين الصهاينة في الولايات المتحدة الأمريكية يعضد هذا الدعم، لا سيما بعد صعود اليمين الميسيحي الأمريكي واستحواذه على ٢٥٪، من القاعدة التصويتية في الولايات المتحدة، أي أكثر من عشرة أضعاف أصوات اليهود الأمريكيين، وبروز ثقافة "اليهومسيحية" Judo Christian كثقافة اجتماعية عند أغلب الأمريكيين[٧٣]، لذا ليس من الغريب أن نشاهد ونسمع أن تتصاعد حمى المطالبة بهدم المسجد الأقصى في ظل حملة الرئيس الأمريكي جورج بوش بالحرب على العراق[٧٤].

لاعتبار أنهم يرفضون استخدام الكتاب المقدس للنصارى في تبرير أفعال دولة العدو الصهيوني، لا سيما بعد دراسات عديدة أكدت خطر الصهيونية المسيحية على الديانة المسيحية[٧٥].

ولعل الصهيونية المسيحية تتجذر غالباً في المذهب البروتستانتي، - وهو المذهب المسيحي الشائع في الولايات المتحدة الأمريكية - الذي يعتبر أن

---

(٧٢) انظر بتوسع عن هذه الدراسات: ناظم الجاسور، **الفكر السياسي الأمريكي المعاصر**، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٣).

(٧٣) مجلة القدس، (القاهرة: فبراير ٢٠٠٢، العدد ٣٨)، ص١٠٣.

(٧٤) مجلة القدس، ص٦٩.

(٧٥) محمد حسن، **موقف المذاهب المسيحية من الصهيونية**، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٣)، ص٩.

اليهود أمة مختارة، ويجب أن تعود للاستقرار والاستيطان على أرض فلسطين حتى يعود المسيح عليه السلام.

يقول روبرت فولر في كتابه "تسمية الدجال": "إن الأمريكيين والعبرانيين بحاجة دائماً لاستحضار الشيطان، والحديث عن خطره المصيري، الذي يتطلب فلسفة أمنية متطورة، تقتل حتى لمجرد الظن"[٧٦].

اعتقاد اليهود ومعهم المسيحيون الصهاينة أن الله سيجمع أعداء اليهود في أرض فلسطين، وهذا سيكون تمهيداً لنزول المسيح عليه السلام[٧٧].

وكما يُعلن المبشر الأنجيلي، جيري فولويل، الذي عمل مستشاراً للرئيس الأمريكي الحالي، جورج بوش، الذي هو نفسه زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم " إرهابي"، وغيره من الآباء القديسين Holy Fathers، يرى "أننا جزء من جيل النهاية، من الجيل الأخير"، وأن هذا الجيل سوف يموت في محرقة هرمجيدون[٧٨]، وعلى حد وصف الكاهن كين باخ من الكنيسة بفرجينيا أن "ستكون المحنة الكبرى أكثر مأساوية من الهولوكوست، ستكون يوم انتقام الرب من عالم غير مؤمن.. إن المحنة هي من أجل إسرائيل"[٧٩].

وكما استشهد بإصحاح يوشع ١٢/١٢ في أن الإسرائيليين هزموا الكنعانيين في مجيدو، وبعد قرنين ربح الإسرائيليون المعركة ضد القائد الكنعاني سيسيرا، والتي يزعم أن كل واحد من اثنين من الناس سوف يقتلون، أي أن ثلاثة مليارات شخص سوف يقتلون.

---

(٧٦) **مجلة القدس**، ص٧٠.

(٧٧) سفر رخلافسكي، **حمار المسيح**، ص٣٣١.

(٧٨) اشتقاق اسم المعركة، مأخوذ من اسم مجيدو، ولنضف إليها الكلمة العبرية هار ومعناها الجبل، فتكون هارمجيدو، بمعنى جبل مجيدو، ويمكن ترجمتها هرمجدون" غريس هالسل، **الأنجليون الصهاينة**، ترجمة: محمد السماك، (القاهرة: دار الشروق، ط٤، ١٩٩٨)، ص٣١.

(٧٩) غريس هالسل، **يد الله**، ترجمة: محمد السماك، (القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٢)، ص١٣، ص٢١، **الأنجليون الصهاينة**، ص٣٣، ص٥٢.

جاء في فصل ٣٨ و٣٩ من حزقيال: ستنهمر الأمطار، وتذوب الصخور، وتتساقط النيران، وتهتز الأرض والجبال"، ويفسر بعض مؤيدي هذه المعركة بأنه يعني تبادل الأسلحة النووية، وأن المسيح سوف يستخدم سلاحاً جديداً له نفس تأثير القنبلة النيوترونية، حيث ورد في زكريا ١٢/١٤ "بأن جلودهم سوف تتآكل وهم واقفون على أقدامهم، وأن عيونهم سوف تتآكل في مآقيها"، وأن ثلثي اليهود سوف يقتلون، وأن الدماء ستسيل بكثرة مسافة ٢٠٠ ميل، بحيث سيصل إلى ألجمة الخيل، "وأن الله سوف يفعل ذلك من أجل شعبه القديم من اليهود، وقد ابتلاهم بهذا، حتى يطهرهم ويجعلهم قادرين على رؤية النور والاعتراف بالمسيح المخلص".

ويستبشر بهجوم ٢٠٠ مليون جندي من الشرق وملايين أخرى من الغرب بقيادة أعداء المسيح، وزوال مدن مثل: لندن، وطوكيو، وباريس، ونيويوك، ومقتل معظم البشرية، حتى اليهود لا يبقى منهم سوى ١٤٤ ألف يتحولون إلى المسيحية، وهؤلاء القلائل سيتولى الرب بطريقة خارقة إخفاءهم مدة ثلاث سنوات ونصف من سنوات المحنة، بعضهم سيكون في مدينة البتراء.

وينقل فالويل عن إصحاح زكريا، وإصحاح إسحاق "أن ساحة المعركة ستمتد مسافة ٢٠٠ ميل، من مجيدو شمالاً إلى أيدوم جنوباً، ومن البحر الأبيض غرباً إلى تلال موهاب شرقاً مسافة ١٠٠ ميل. وتلك المنطقة ستكون مدينة القدس، وسيجتمع فيها ٤٠٠ مليون من أجل المأساة النهائية. وسيقضي المسيح على كل أعدائه، وسيضرب الوحش والنبي الكذاب، ويلقي بهما في بحيرة من نار".

وتشير المؤلفة إلى أن الرئيس الأمريكي الأسبق ريغان في عام ١٩٨٠ كان مرشحاً للرئاسة، وكان يتحدث عن هرمجدون في مقابلة تلفزيونية مع الإنجيلي جيم بيكر، فقال: "إننا قد نكون الجيل الذي سيشهد هرمجدون" (النبوءة والسياسة، ص٤٩)، وأنه يستمد مواقفه هذه من قراءته لكتاب سفر الرؤية.

ويقدر عدد الأصوليين "المسيحيين" في الولايات المتحدة بحوالي (٥٠)

مليوناً، وأكثرهم حماسةً لهذه المعركة يقع من داخل صفوف المسيحيين الأنجليين، ويرى وليم مارتن، أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة رايز، أن الحركة الإنجيلية تضم ربع الراشدين من الشعب الأمريكي.

أما المسلمون، فالاعتقاد السائد عندهم: أن نزول المسيح عليه السلام سيكون من علامات الساعة الكبرى، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم، حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية**"، – وفي رواية يضع الحرب – أي يصبح الدين واحداً وهو الإسلام، ويدخل الناس في دين الإسلام، فلا حاجة لأخذ الجزية، – (**ويفيض المال**)، وذلك لعلم الناس بقرب الساعة، فيزهدون به، ولانتشار العدل ورفع الظلم بسبب بركة نزول المسيح – (**حتى لا يقبله أحد**)، وفي رواية لمسلم، (ولتتركن القلاصُ)[(٨٠)]، **حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**"، ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾، سورة النساء، ١٥٩[(٨١)].

وفي رواية أبي داود، أنه صلى الله عليه وسلم قال في حق المسيح عيسى عليه السلام: "**وإنه نازل.. فإذا رأيتموه فاعرفوه رجلاً مربوعاً إلى الحمرة والبياض، .. فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون**"[(٨٢)].

---

(٨٠) والقلاص، هي أشرف الإبل، وهي أنفس الأموال عند العرب، أي أن الزهد سيكون فيها وفي جميع الأموال، النووي، **شرح صحيح مسلم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط١،٢٠٠٠)، ٢/١٦٣.

(٨١) انظر: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحاديث الأنبياء، نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، (الرياض: دار السلام، ط٣، ٢٠٠٠)، ٦/ ٥٩٩، النووي، **شرح صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ٢/١٦٣.

(٨٢) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، خروج الدجال.

وهذا ما جعل مؤلف العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي ٧٩٢هـ يقول:" ونؤمن بأشراط الساعة، من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء"(٨٣).

ويتفق علماء الإسلام على أن المسيح عليه السلام سينزل تابعاً للنبي صلى الله عليه وسلم، وليس نبياً أو مرسلاً، إذ لا نبي من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، أي أن المسيح عليه السلام "لا يقبل إلا الإسلام"(٨٤).

والأحاديث في قتال اليهود قد تصل إلى مرتبة القطع واليقين المعنوي، حتى إن البخاري سمى كتاباً باسم "باب قتال اليهود"(٨٥)، ومن الأحاديث في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "**تقاتلون اليهود، حتى يختبىء أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله**".

يعلق ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ على هذا الحديث بقوله: "وفيه إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال، ويستأصل اليهود الذين هم تبع للدجال"(٨٦).

وفي هذا الشأن، جعل الإمام النووي ٦٧٧هـ باباً في الفتن، سماه "باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال"(٨٧)، ليشير إلى مدى الترابط والتناسق ما بين اليهود و"المسيحية الصهيونية" إذا جاز التعبير، في الترابط والتجمع ضد المسلمين، كما يقول الصحابي ابن مسعود: "عدوّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام"، وكان قد أشار بيده إلى بلاد الشام(٨٨).

ومن المسلمات الغيبية التي يؤمن بها المسلمون أن المسيح عيسى عليه السلام -وهو مسيح الهدى- سيقاتل المسيح الدجال، وهو -مسيح الضلالة-

---

(٨٣) ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص٥١٣.
(٨٤) ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ٦/ ٦٠١.
(٨٥) انظر: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ٦/١٢٦.
(٨٦) انظر: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ٦/١٢٧.
(٨٧) النووي، **شرح صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ١٨/١٩.
(٨٨) النووي، **شرح صحيح مسلم**، ١٨/٢٠.

في مكان يسمى **بيت لُدٍّ**، وهي بلدة قريبة من بيت المقدس، وهي الآن محتلة من قبل الصهاينة منذ عام ١٩٤٨، وقد أقاموا عليها مطار بن غوريون الدولي، ففي حديث مسلم الصحيح عن واقع المسيح الدجال، وماذا سيفعل بالخلق من ابتلاءات ومحن وفتن، جاء فيه: "**فبينما هو كذلك، إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.. واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، .. فيطلبه** – أي المسيح الدجال – **حتى يدركه بباب لد، فيقتله**[٨٩].

بل إن هناك علاقة واضحة تشير إليها أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم بين المسيح الدجال الذي يعيث في الأرض الفساد والخراب، وما بين اليهود، ففي حديث أنس بن مالك الصحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**يتبع الدجال من يهود أصبهان، سبعون ألفاً**"[٩٠].

وأتوقع أنها علاقة تلازمية طردية، إذ أن اليهود على مدار التاريخ الإنساني مشهور عنهم الفساد والخراب والفتن، كما قال الله تعالى عنهم، ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، سورة المائدة، ٦٤.

أي إن ظهور المسيح الدجال سيكون عوناً لليهود وسنداً، مع بشارة للمسلمين بقرب القضاء عليهم وعلى حليفهم الأكبر، وهو المسيح الدجال، هذا فضلاً عن مجمل النصوص الحديثية التي ذكرناها والتي تشير بقوة إلى المواجهة العسكرية ما بين المسلمين واليهود، وأن الغلبة هي للمسلمين قطعاً، كما ورد على لسان الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

---

(٨٩) النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ١٨/ ٥٤.

(٩٠) النووي، شرح صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ١٨/٦٨.

المبحث الثالث

مقاصد أصيلة في الصراع الديني بين المسلمين واليهود

يرى الشاطبي رحمه الله أن للضروري قصداً أصلياً وقصداً تابعاً، وأن القصد التابع لا بد أن يكون خادماً للقصد الأصلي، وإذا كان كذلك، فالقصد إليه ابتداء صحيح، أما إذا كان غير خادم له، فالقصد إليه غير صحيح[(٩١)].

بل – وعلى توصيف ذلك – فإن اختلال الضروري اختلال للباقيين، كما يقول: "إذا ثبت أن الضروري هو الأصل المقصود، وأن ما سواه مبني عليه كوصف من أوصافه، أو كفرع من فروعه، لزم من اختلاله اختلال الباقيين، لأن الأصل إذا اختل اختل الفرع من باب أولى"[(٩٢)]، في حين أنه لا يلزم من اختلال الباقيين اختلال الضروري.

فإن الضروري، هو محل النظر الدائم، وأن مقاصده الأصلية ملحقة به على درجة هامة ومعتبرة، تليها مقاصده التابعة، وهي مسندة وداعمة للمقصد الأصلي مباشرةً، وللضروري بطريق غير مباشر.

فالعبادات والطاعات –وهي مقاصد أصلية– شُرعت للحفاظ على ضروري الدين، يليها مقاصد توابع لها، منها ما هو منصوص عليها أو مشار إليه بجزئيات تشريعية أو قياسية، مثل تحصيل المراتب العليا في الجنات، أو العمل ليكون صاحبها ولياً من أولياء الله، أو تحصيل العلم الشرعي لُيعينه على العبادة والطاعة، أو طلب الرزق من خلال التعبد والتهجد وصلة الأرحام، وغير ذلك من المقاصد التابعة، فهي مقصودة لأن فيها تدعيماً للمقصد الأصلي وهو العبادة الطاعة، والمقصد الأصلي مطلوب أصالةً، لأنه مقصود أصلي يحفظ الضروري الكلي، وهو الدين، المعتمد شرعاً وعقلاً.

وبناءً على ذلك، يمكننا القول: بأن المقاصد الأصلية التي نراها تعين

---

(٩١) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/ ٦١.

(٩٢) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٣٣٢، ٣٣٤.

وتساعد على رسم صورة كلية مقاصدية هي المطلوبة لذاتها، والعمل على تكوينها وتأسيسها هو الأصل في نظرتنا للأحداث والوقائع السياسة، وأن أي قصد نابع من مصلحة مجلوبة أو مفسدة متروكة تدخل ضمن هذا الإطار المقاصدي المعتبر.

وهناك أدلة أصولية جعلها الأصوليون أدوات فرز وغربلة لاستخراج المصالح وترك المفاسد من الوقائع والأحداث، مثل دليل سد الذرائع، " التي حكمها مالك في أكثر أبواب الفقه، لأن حقيقتها التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة "[٩٣].

أي إن المقصد الأصلي المعتبر في دراستنا هذه، هو المقصد الذي يجلب المصلحة الشرعية أو يبعد مفسدة واقعة على المشروع الإسلامي في أرض فلسطين، كما يقول الشاطبي: "أن الشريعة مبنية على اعتبار المصالح"[٩٤]، وفي المقابل، أي حدث أو واقعة تصب في خدمة ومصلحة المشروع الصهيوني أو تدفع عنه أذىً أو ضرراً، هو حدث أو هي واقعة مرفوضة أصولياً ومقاصدياً، لأن بها تعطيلاً للمشروع الإسلامي من النهوض.

كما أن البناء على المقاصد الأصلية ينقل الأعمال -غالباً- إلى أحكام الوجوب، إذ المقاصد الأصلية دائرة على حكم الوجوب[٩٥]، من حيث إنها كانت -ولا تزال- حافظة بمجموعها لضرورية الدين، المتفق على حفظه بالإجماع، وبالتالي فإذا كان المقصد الأصلي الذي يراه المكلف -باستقراء وقطع شرعي- مأخوذاً من النصوص والأدلة التشريعية يشير إلى هذا بقوة، لا سيما في حصول المصلحة الشرعية ودرء المفسدة عن هذا الضروري.

إذاً، ففعل المكلف -هنا- ما هو إلا "قاصد ما قصده الشارع"[٩٦]، وهذا

---

(٩٣) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ٢/٥٥٦.
(٩٤) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ٢/٤٧٧.
(٩٥) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٥٠٠.
(٩٦) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٥٠١.

هو عين الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه الكرام، إذ أن أعمالهم وسيرهم ما هي إلا أفعال قُصد بها تحصيل مقصود الشارع الكريم، مع بيان أهمية النية في هذا الموضع تحديداً؛ للآية الكريمة ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، سورة الكهف، ١١٠، وللقاعدة الشرعية، "إنما الأعمال بالنيات"(٩٧)، والمقاصد معتبرةٌ في التصرفات.

لهذا، ليس غريباً أن يذهب الشاطبي إلى استنتاج أن "العمل على المقاصد الأصلية يصيّر الطاعة أعظم، وإذا خولفت كانت معصيتها أعظم"، لأن أصول الطاعات وجوامعها إذا تتبعت وجدت راجعة إلى اعتبار المقاصد الأصلية، وكبائر الذنوب إذا اعتبرت وجدت في مخالفتها(٩٨).

وبعد عرض أهم المعالم الدينية لهذا الصراع، يجدر بنا أن نبين أهم المقاصد الأصيلة لهذا الصراع، حتى ينتشر الوعي الديني بأهمية هذا الصراع الدائر منذ مطلع البشرية إلى يومنا هذا، وما الاحتلال الصهيوني لفلسطين إلا حلقة من حلقات الصراع ما بين الحق والباطل.

ونريد أن نؤكد – هنا – على أن المقصود بالمقاصد الأصلية في مضمون تطورات القضية الفلسطينية أو الصراع العربي الصهيوني، هي الضروريات المعتبرة في القضية الفلسطينية، والتي يمثل الحفاظ عليها مصلحة للمسلمين وللمشروع الإسلامي الحضاري على أرض فلسطين.

وتزداد أهمية هذه المقاصد بسبب انتمائها للدين الإسلامي وكينونته وجوهره، فالدين هو أُس الضروريات التي جاءت الشريعة الإسلامية للحفاظ عليها، وكل ما يعوق هذه المقاصد يجب العمل على إقصائها والعمل على

---

(٩٧) صحيح البخاري، كتاب العلم، كذلك انظر: الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ٦٠٧/١.

(٩٨) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ٥٠٢/١.

محاربتها بكل ما تعني هذه الكلمة من معاني ودلالات، حفاظاً على الدين وجوهره، والدين هنا – بلا شك – الدين الإسلامي؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ سورة آل عمران، ٨٥.

كما يجدر التنبيه على أن هذه المقاصد الأصلية مطلقة في كل الضروريات، وليست محصورة في ضروري الدين، إذ تدخل ضمن ضروريات النفس والمال والنسل والعقل، لكن تعلقها بضروري الدين أولى وأقرب، وعلى وصف الشاطبي: "مقاصد الشرع في بيت المصالح في التشريع أن تكون مطلقة عامة، لا تختص بباب دون باب، ولا بمحل دون محل، ولا بمحل وفاق دون محل خلاف، وبالجملة الأمر في المصالح مطرد مطلق في كليات الشريعة وجزئياتها"[(٩٩)].

ومن هذه المقاصد الأصلية:

١) المسجد الأقصى، يُعَدُّ في زماننا المعاصر، وفي ظل الاحتلال اليهودي له، أول المقاصد الدينية في المحافظة عليه والدفاع عنه، والتضحية من أجله، إذ أن الأخبار تتواتر على عزم اليهود على هدم المسجد، وبناء الهيكل المزعوم محله.

ومن هنا، وجب على جميع المسلمين – المليار وأكثر من (٣٠٠) مليون مسلم – على وجه الأرض العزم والصدق مع الله في الحفاظ عليه بأي طريقة أو وسيلة كانت أنى استطاعوها وقدروا عليها.

فالمسجد الأقصى، منذ عام ٦٢٠م، – وهو عام الحزن، الذي فقد فيه النبي صلى الله عليه وسلم زوجته وعمه –، كان ارتباطه بالإسلام ارتباطاً وثيقاً، حيث زاره نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، وصلى فيه بحضور النبيين، ثم فتحه

---

(٩٩) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٣٦٥.

الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٥هـ/٦٣٦م، وكتب عهدته العمرية المشهورة، بأن " لا يسكن بإيلياء معهم – أي أهلها – أحد من اليهود".

ثم احتلت المدينة المقدسة على أيدي الصليبيين في ٧ حزيران ١٠٩٩م، وبعد عقود من الظلام، عادت القدس والمسجد الأقصى إلى حمى الإسلام بقيادة القائد الإسلامي المشهور صلاح الدين الأيوبي في ٥٨٣هـ/١١٧٨م.

وعند سقوط فلسطين على أيدي الصهاينة وبالدعم المسيحي والشيوعي المطلق عام ١٩٤٨، وتأكد ذلك في ٧ حزيران عام ١٩٦٧ في احتلال مدينة القدس، وهو نفس التاريخ الذي احتل الصليبيون القدس، ما زالت القدس حبيسة الاحتلال اليهودي.

وتعاني المدينة المقدسة من مؤامرات ومكائد يسعى من خلالها اليهود كجماعات متطرفة أو من خلال الأطر الرسمية للدولة الصهيونية في استغلال أي مناسبة في تدمير المسجد الأقصى، وقد تم حرق المسجد عام ١٩٦٩ على يد المتطرف الأسترالي، وحاول الحاخام كهانا نسف المسجد الأقصى عبر مواد تفجير، وفي عام ١٩٩٠ حاولت جماعة أمناء الهيكل اقتحام المسجد، ومؤخراً وفي عام ٢٠٠٤، تم الكشف عن رصد طائرة عسكرية معدة لتنفجر بالمسجد الأقصى، وغير ذلك الكثير الكثير من محاولات الاعتداء على المسجد الأقصى، وقد استشهد العديد من المسلمين في الدفاع عن مسرى النبي صلى الله عليه وسلم.

والجدول التالي يشير – ولو بصورة موجزة – إلى ملخص لهذه الحركات والجماعات اليهودية المتطرفة، والتي تسعى إلى القضاء على المسجد الأقصى[(١٠٠)]:

---

(١٠٠) انظر ملف: **المنظمات والجماعات اليهودية المعنية بهدم المسجد الأقصى**، نقلاً عن وكالة القدس برس، نقلاً عن المركز الفلسطيني للإعلام، انظر الموقع: www.palestine-info

أهم الحركات الصهيونية التي تستهدف المسجد الأقصى	تعريفها وبرامجها وخططها
جماعة "غوش ايمونيم" ومعناها كتلة الإيمان، وتطلق على نفسها أيضا حركة التجديد الصهيوني وترفع "غوش ايمونيم" شعارا لها عبارة "الاستيطان في كل أرجاء "إسرائيل"، وتدعو إلى طرد العرب من فلسطين بالقوة، وهي تحظى بدعم حكومي، وبدعم مختلف التيارات الحزبية، وهذا ما أكسبها قوة شعبية، ويترأسها عزرا زوهار، وتطلق على نفسها اسم حركة "عتسمؤوت".	وقد أسسها موشي ليفنجر في مايوعام ١٩٧٤، وتعد من إفرازات حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وهي حركة جماهيرية دينية متطرفة، تسعى للاستيطان في الضفة وقطاع غزة، وتعمل لإقامة الهيكل على أنقاض الأقصى، وتؤمن بالعنف لتحقيق ذلك، ومعظم أعضائها من شبيبة المدارس الدينية التابعة لحزب "المفدال" اليميني المتطرف. وتضم الحركة عدداً من أشهر حاخامات دولة الكيان البارزين، وتتميز هذه الجماعة عن سواها من المنظمات الإرهابية الصهيونية بأنها تمزج الإيمان والأعمال ذات الطابع السياسي.
حركة حي فاكيام (الحي القيوم) ويعد المنظر الصهيوني "شبتاي بن دوف" الذي كان من أعضاء التنظيم السري اليهودي -أيضاً- مرشداً للحركة، ومبادئها المستندة إلى أن الظهور المستقبلي لثقافة إسرائيل، التي تستند إلى ٤٠٠٠ عام من التاريخ اليهودي، يتجلى في النظام والمؤسسات الجديدة، وبيت مقدس ثالث، ووثيقة استقلال جديدة، وأن الشيء الهام في نظر زعماء هذه الحركة هو "أبدية "إسرائيل".	تشكل نواة عقدية صلبة، ويعيش معظم أعضائها البالغ عددهم مئات في مستوطنات "غوش عتسيون"، وهم في الغالب ضباط من وحدات مختارة، ومن زعمائها: مردخاي كربال ويهودا عتسيون، الذي كان عضواً في التنظيم السري اليهودي، وهو الذي وضع خطة لتفجير المسجد الأقصى أوائل الثمانينيات، وقد خططت هذه الحركة عدة مرات لنسف المسجد الأقصى، واعتقل أفواج من أعضائها أكثر من مرة.
حركة هتحيا (النهضة) وهي حركة سياسية يمينية تظهر توجهات غير دينية، وتعد من أكثر الحركات الإرهابية تطرفاً وعنصرية في الدولة العبرية	ويعود ظهورها إلى يوليو عام ١٩٧٩، إذ انشقت عن حركة "حيروت" احتجاجا على اتفاقات كامب ديفيد، وانضم إليها قسم من جماعة "غوش ايمونيم" و"حركة المخلصين لأرض "إسرائيل" الكاملة". وهذه الحركة معنية بالسيطرة على منطقة المسجد الأقصى، لأن ذلك يحقق لإسرائيل السيادة والقوة. ومن أهم مباديء هذه الحركة:

أهم الحركات الصهيونية التي تستهدف المسجد الأقصى	تعريفها وبرامجها وخططها
	إقامة المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، وضرورة تخصيص إمكانات مالية كبيرة لهذا الغرض.
جماعة أمناء الهيكل وتقوم هذه الجماعة بإقامة الصلاة اليهودية في الساحة المحيطة بحائط البراق (المبكى). ومن أبرز رموزها ستانلي جولدفوت، وهو أصلا من جنوب إفريقيا، وكان يعمل رجل مخابرات لصالح مجموعة شترين الإرهابية، التي اغتالت وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت عام ١٩٤٨.	وهي جماعة دينية متطرفة أنشأت لنفسها عام ١٩٨٣ صندوق جمعية "جبل البيت" أو "جبل الهيكل". وتسعى هذه الجماعة إلى تهويد منطقة المسجد الأقصى، ولها فرع في الولايات المتحدة الأمريكية، يمدها من خلاله مادياً مسيحيون متطرفون من كاليفورنيا، لكن مركزها الرئيس في القدس المحتلة. وتضع هذه الجمعية نصب عينها هدفاً أساسياً هو إعادة بناء الهيكل الثالث المزعوم في نطاق "جبل البيت".
حركة كاخ (عصبة الدفاع اليهودية) ومعناها "بالبندقية"، وهي حركة يمينية متطرفة أسسها عام ١٩٧٢ الحاخام اليهودي الأمريكي مائير كاهانا الذي ولد وقتل في نيويورك، والذي مثل حركته في البرلمان الصهيوني عام ١٩٨٤. ويعرف كاهانا بآرائه التلمودية الداعية لطرد العرب الفلسطينيين من كل فلسطين بالقوة، لتبقى خالصة لليهود. وهو يرى أن العرب بعامة والفلسطينيين بخاصة مجموعة قومية متعصبة منحطة في نظر الدين (اليهودي)، وكان يمارس العنف بشتى الوسائل ضد الفلسطينيين في الأرض المحتلة، ويرى أنه من الواجب اضطهادهم وطردهم.	ومعظم أتباعه من الطلاب الذي ركزوا نشاطهم في القدس، ودمجوا في عملهم أسلوب العمل العلني والسري. ويتربع في قمة الهرم في هذه الحركة هيئة سياسية، وفي قاعدته هيئة عسكرية، وهيئآت مالية وتعليمية وأيديولوجية، وتتبع لها لجنة الأمن على الطرقات، التي نشطت في فترة الانتفاضة الأولى. ومن نشاطات هذه الحركة التي استهدفت الأقصى: قيام بعض أعضائها بعمليات إجرامية عدة، منها محاولة الاستيلاء على المسجد الأقصى، ومحاولة تفجير قبة الصخرة، وإطلاق النار الطائش قربها. ومن اتباعه: جودمان الذي قام بالهجوم على الأقصى يوم ١١ (أبريل) ١٩٨٢ وهو ما أدى

أهم الحركات الصهيونية التي تستهدف المسجد الأقصى	تعريفها وبرامجها وخططها
	إلى استشهاد وجرح عدد من المسلمين.
حركة كهانا حي وهي حركة إرهابية يمينية متطرفة لا تختلف عن حركة كاخ من حيث الأيديولوجية، إنما توجد خلافات شخصية بين قادة الحركتين. ويقيم معظم أفرادها في مستوطنة "كفار تبوح" شمال الضفة الغربية مع زعيمهم بنيامين نجل الحاخام مائير كاهانا، الذي يرى نفسه على طريقة أبيه، ويملك مع مساعده سجلات عدة لأهداف محتملة ضد العرب، ومخططات لهجمات وأعمال تخريب ضدهم وضد ممتلكاتهم. وينظم النشاطات الخارجية لهذه الحركة يوكتمئيل يعقوب، ذو السجل الإجرامي الدموي.	ويرى المنتسبون لهذه الحركة – ومعظمهم من يهود الولايات المتحدة الأمريكية: أن "الشعب اليهودي" مقدس، وأن أرض (إسرائيل) مقدسة، لأنها تحمي الشعب من الناحية التربوية والدينية والطبيعية. ويتدرب أفراد هذه المجموعة البالغ تعدادها نحو ٢٠٠ عضو، منهم ٣٠ شابة، على القتال الفردي والقتال القريب والأسلحة الخفيفة في معسكر تدريب خاص بالحركة في الولايات المتحدة الأمريكية. يذكر أن السلطات الصهيونية أصدرت قرارات عدت فيها حركتي كاخ وكهانا حي منظمتين خارجتين عن القانون، وذلك لمنعهما من اتباع وسائل عنيفة ضد الفلسطينيين. وهذه القرارات سياسية تأتي لتهدئة الرأي العام في العالم، ولترفع –في الوقت ذاته– السلطات مسؤولياتها عن الأعمال الإرهابية، التي تقوم بها تلك المنظمات.
مجموعة حشمونائيم وهي إحدى المجموعات الإرهابية الفاشية التي تتأثر بحركة كاخ وتأسست في وقت متأخر، ويتزعمها الإرهابي يوئيل لرنر. ويعد الحاخام افيغدور نفتسال رئيس رابطة التاج القديم، الأب الروحي لهذه المجموعة.	وقد عرف أعضاؤها باللجوء إلى العنف الشديد، وبالخبرة العسكرية العالية، ويرجع ذلك إلى أنهم بعد أن فرغوا من الخدمة العسكرية اتجهوا إلى هدف السيطرة على بيت المقدس بالقوة، متمردين على سياسة الخطوة خطوة المتبعة من الحكومة، ومطالبين بطرد السكان العرب من القدس كلها. يذكر أن هذه المجموعة قامت بمحاولة تفجير قبة

أهم الحركات الصهيونية التي تستهدف المسجد الأقصى	تعريفها وبرامجها وخططها
	الصخرة في (يوليو) من عام ١٩٨٢، غير أن المحاولة فشلت، عندما تم اكتشاف الشحنات الناسفة قبل انفجارها.
منظمة بيتار (منظمة الشباب التصحيحيين) وهي منظمة صهيونية تأسست عام ١٩٢٣، ولها فروع في عدد من الدول، إضافة إلى وجودها في الدولة العبرية	وهي تهتم بإقامة الصلوات اليهودية في ساحة الأقصى. ومن قادتها المحاميان رابينوفت وجرشون سلمون، الذي يترأس –أيضاً– مجموعة آل هار هاشم.
حركة (تسوميت) أي مفترق الطرق وهي حركة قومية متطرفة، أنشأها رئيس الأركان السابق رفائيل إيتان، وذلك في عام ١٩٨٣. ومعروف أن إيتان من أشد اليهود تطرفاً في استعمال العنف ضد العرب حين كان رئيساً للأركان.	وتسعى الحركة إلى التركيز على الصهيونية مذهباً؛ لأنها هي الحركة المعنية بإعادة المجد إلى أرض صهيون. وتصر الحركة على بقاء القدس الموحدة عاصمة لدولة الكيان تحت سيادتها، وترفض الانسحاب من الضفة، وتدعو إلى تكثيف الاستيطان فيها.
منظمة سيوري تسيون وهناك مجموعة أخرى من المنظمات الإرهابية المتزمتة تحمل الأهداف ذاتها، لكنها أقل شهرة من المنظمات والجماعات التي تم ذكرها آنفا، وتسعى إلى تحقيق تلك الأهداف، من خلال أفراد احترفوا القتال في جيش الاحتلال، ومنها: **مؤسسة هيكل القدس، منظمة يشفيات اتريت كوهانين، حركة إعادة التاج لما كان عليه، مجموعة آل هار هاشم، حركة الاستيلاء على الأقصى، حركة أمنا** أي الأمانة أو الميثاق، **عصابة لفتا (قبيلة يهوذا)، تنظيم سري داخل الجيش**، حركة "**حيرب ديفيد**"، أي سيف داود، حركة "**موكيد ياهف**"، وحركة "**تسفيا**"، وحركة "**سيف**	وهي رابطة تطوعية، تعمل بإشراف المدرسة الدينية "غليتستا"، وتظهر في شكل جمعية خيرية، وتتلقى دعماً من وزارة المعارف الإسرائيلية وبلدية القدس والجيش الصهيوني. وتهدف إلى تعميق الوعي إزاء الهيكل المزعوم والقدس لدى اليهود عامة والجيش خاصة، وتقوم بتنظيم رحلات دورية إلى الأماكن الدينية اليهودية في القدس. وهناك مدرسة تساندها، وتهيىء اليد العاملة للمؤامرة ضد بيت المقدس، هي المدرسة الدينية "عطيرت كوهانيم" الموجودة في الحي الإسلامي من القدس العربية.

تعريفها وبرامجها وخططها	أهم الحركات الصهيونية التي تستهدف المسجد الأقصى
	جدعون"، ومنظمة "دوف" أي "قمع الخونة"، وحركة "غال"، ومنظمة ايال "التنظيم اليهودي المقاتل".

ويسعى اليهود من هذه المحاولات إلى بناء الهيكل المزعوم في اعتقادهم(١٠١)، وهناك العديد من الشواهد التي تدل على سعي اليهود في المضي في هدم المسجد وإقامة زعمهم الباطل.

وفي هذا الشأن، لا يجوز شرعاً لأي من كان أن يتفاوض عن المسجد الأقصى أو مدينة القدس، بحجج سياسية مصلحية، ومن موقع أن الشعب الفلسطيني في حالة ضعف، وأن يجعل سياسة "إنقاذ ما يمكن إنقاذه"، هي شعاره على المقدسات والأماكن المقدسة، فهذا لا يجوز شرعاً البتة، فالمسجد والمدينة المقدسة، بل وفلسطين كلها، ملك عام لجميع المسلمين، لا يحق لفرد أو حزب سياسي أو دول مجتمعة أن تتنازل عن حق المسلمين في هذا المسجد، ولم تنجح إلى الآن أي مفاوضات حول المسجد الأقصى، لأن "الاقتراب من الديني يحرق الحسابات الأسطورية"(١٠٢).

ولقد بحث العلماء جواز إعلان الحرب على الأعداء إذا هم طعنوا في دين الإسلام، لقوله تعالى ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ سورة التوبة، ١٢، فاليهود لم يحتلوا فقط ديار المسلمين، بل طعنوا في ديننا، وحاولوا تزييف الحقائق الدينية.

ونصرة المسجد والدفاع عنه، لا تنحصر بأهل فلسطين، بل تشمل كل

---

(١٠١) انظر بتوسع: محمد إدريس، **أورشليم في الفكر الديني الإسرائيلي**، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط١، ٢٠٠١)، ص٨٧.

(١٠٢) انظر: محمد الأزعر، **القدس بين الانتفاض والتفاوض**، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط١، ٢٠٠١)، ص١٥١.

المسلمين، من خلال الدعم المالي في صيانة المسجد، أو دعم سكانه المسلمين من عدم الرحيل عن المدينة، أو بأي طريقة كانت فيها نصرة للمسجد، حتى على صفحات الانترنيت أو نشر الوعي الديني بأهمية المسجد، وغير ذلك من الوسائل والأساليب والطرق التي يراها المسلمون.

ورحم الله الشاعر ابن مطروح، الذي قال في هذا المعنى(١٠٣):

المسجد الأقصى له عادةٌ سارت فصارت مثلاً سائراً

إذا غدا للكفر مستوطناً أن يبعث اللهُ له ناصراً

فناصرٌ طهَّرهُ أولاً وناصرٌ طهَّره آخراً

ومن تقديس المسجد الأقصى، ينفصل عنه احترام بيوت العبادة وأماكن الصلوات، والعمل على توسيع هذه البيوت.

٢) نشر الوعي الديني بمدى أهمية الدين الإسلامي في مسار هذا الصراع وتقلباته وتشكلاته، وأنه جوهر الصراع وحقيقته، على الرغم من التنظيرات التي تحاول تغطية هذه الحقيقة، بأساليب وطرق شتى، من أنه صراع سياسي واقتصادي.

لأن الدين الحق هو الإسلام، والاستسلام لله سبحانه وتعالى، كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ سورة آل عمران، ١٩، وقوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ سورة آل عمران،٨٥.

لكن الحقيقة، أن الصراع هو صراع ديني له آثار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية على مجمل القضية، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن هذه الآثار ستستعيض عن حقيقة الصراع الديني.

---

(١٠٣) ابن كثير، **البداية والنهاية**،حققه جماعة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٨٧)، ١٣/ ١٩٤.

وأن المقصد الأصلي الذي يلزم المسلمين عموماً العلم به والاعتقاد به هو: أن تحرير فلسطين فريضة إسلامية، تشمل كل مسلم قادر على حمل السلاح والدفاع عن المقدسات الإسلامية، وأنه ليس خاصاً بالشعب الفلسطيني فقط، وإن كان الفلسطينيون هم في هذه المعركة رأس الحربة، بل هو مشروع تحرري لجميع المسلمين في العالم، وذلك للنصوص الدينية الواردة في حق قدسية المكان، وطبيعة عداء اليهود للإسلام، وللمشروع الحضاري في الصراع.

وفي هذا يرى الأصوليون أنه **إذا كان الفعل مندوباً بالجزء كان واجباً بالكل**(١٠٤)، مثل الأذان في المساجد وصلاة الجماعة وسائر النوافل، فإنها مندوب إليها بالجزء، ولو فرض تركها جملة لجرِّح التارك لها، ولهذا أفتى بعض العلماء على جواز قتال أهل المصر إذا تركوا الأذان، لأن فيه إظهاراً لشعائر الإسلام.

وفي هذا المقصد الأصلي، فهناك الوسائل الإعلامية والتثقيفية والبرامج الاجتماعية وغيرها من الوسائل والأساليب التي تنشر الوعي بهذا المقصد، فهي برمتها مطلوبة وتدخل ضمن إطار الواجب الكلي، وإن كانت مندوبة بالجزء.

فاليهود يحتلون مكاناً مقدساً عند المسلمين، هو المسجد الأقصى، ثالث الحرمين الشريفين، وأول قبلة للمسلمين، وهذا بذاته محرض للمسلمين على العمل لاستعادته، وهذا لا يقل عن المكانة المقدسة للحرمين بمكة والمدينة، لأن الأماكن المقدسة للمسلمين هي واحدة، مع مراعاة الأجر والثواب الوارد في النصوص.

وفي هذا الشأن، يدخل ضمن نسق المقصد الأصلي الدعوة إلى الله والإسلام، وتكوين الأنصار والمؤيدين للطرح الإسلامي، وتوسيع إطار الدعوة لتشمل جميع الفئات الاجتماعية، حتى أولئك الذين في سجون الاحتلال(١٠٥)،

---

(١٠٤) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/ ١١٥.

(١٠٥) انظر على سبيل المثال هذه الدراسة، وهي رسالة دكتوراه: عبد الرحمن الخليفي، **الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة**، (دار الوطن للنشر، ط١، ١٩٩٦)، ص١٧٩.

ولا يمنع الحاجز التنظيمي والفكري للآخرين من دعوتهم للإسلام، لا سيما وأن أغلبهم من أهل الإسلام انتساباً.

لأننا نؤمن إيماناً جازماً من أن وسائل حفظ الدين: السماح بحق التدين، وتوثيق صلة الإنسان بربه، والدعوة إلى ذلك بكافة الوسائل والطرق.

٣) الوسيلة المتعلقة بحفظ الدين ودفع المضرة عنه هي من أفضل الوسائل في الشريعة، وغيرها يأتي دونها، فالوسائل: كالجهاد، والقتال لحفظ الدين هي أولى من غيرها من الوسائل الأخرى، كما يقول علماء الأصول والمقاصد، إن "فضل الوسائل مرتب على فضل المقاصد"[١٠٦].

أي أن المقاومة والجهاد من المقاصد الأصلية المنبثقة عن مقصد الدين الكلي، وأن الجهاد يزداد أهمية كلما استهدف الدين ومقدسات الإسلام على أرض فلسطين.

على الجانب المقابل، ترى أن اليهود يؤيدون بكل حسم ووضوح أن القوة هي السبيل الأحكم في الحفاظ على أرض فلسطين، فهذا الحاخام تسفي يهودا، يرى في محادثات السلام ما بين العرب واليهود في كامب ديفيد الأولى، ما بين مصر والدولة الصهيونية، أن" الله سيعطي شعبه القوة.. وبهذه الطريقة فحسب، بالقوة التي سيؤيد بها شعبه نكون قد بوركنا بالسلام، لذلك كل سلام لا يأتي من القوة... سيكون سلاماً أبتر، عابراً، ولعنة على الأجيال الآتية"[١٠٧].

ويرى بن غوريون، أول رئيس وزراء صهيوني في ٧ فبراير ١٩٤٨، أن الحرب مع العرب هي الوسيلة الوحيدة لجلب الأرض لليهود، حيث يقول[١٠٨]:

"The war will GIVE us the land. The concept of 'ours' and 'not ours' are ONLY CONCEPTS for peacetime, and during war they lose all their meaning".

(١٠٦) مصطفى مخدوم، **قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية**، ص١٤١.

(١٠٧) أيان لوستك، **الأصولية اليهودية في إسرائيل**، ص ٩٦.

(١٠٨) LOOTING, Plunder, & Destruction Zionist , 3 DECEMBER 2001, see this site: www.allthatremains.com

ولم يكن من غضاضة أن يتجمع اليهود والنصارى في الإعداد لمعركة الفصل مع المسلمين بغية نزول المسيح، ومعركة بناء الهيكل Battle on the Temple Mount.

وفي علم الأصول والمقاصد: أن الوسائل المرفوضة في الدين هي المتعلقة بجلب المفاسد للدين وأهله، وكما كانت أفضل الوسائل هي التي تتعلق بحفظ الدين، فإن أرذل الوسائل هي التي تتعلق بهدم الدين وزواله.

لذا، يعتبر مسلك المفاوضات والسلام، والذي فيه تمكين للعدو من الاسترسال بطغيانه وجبروته على أرض فلسطين، مسلكاً مرفوضاً شرعاً من هذا المنظور، فضلاً عن الأبواب الشرعية الأخرى التي تسقطه ولا تعده شيئاً.

وهذا ما تحدث عنه علماء الأصول والمقاصد حول ضرورة الدفاع عن الحوزة وهي حدود بلاد الإسلام، وحماية البيضة، وهي الأمة المسلمة، كما يقول ابن عاشور: "فالدفاع عن الحوزة وحماية البيضة، هو حفظ الأمة الإسلامية من اعتداء عدوها عليها، وحفظ بلاد الإسلام من أن ينتزع عدوها قطعةً منها، أو يتسرب إليها، وهذا الدفاع من أول أعمال الحكومة الإسلامية"(١٠٩).

وكما قال الإمام العز بن عبد السلام ٦٠٦هـ: "وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة، كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها"، و" كلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المفسدة، كان إثمها أعظم من إثم ما نقص عنها"، وكما يقول القرافي: "القاعدة: أنه كلما سقط اعتبار المقصد، سقط اعتبار الوسيلة"(١١٠).

والجهاد والمقاومة تلزمها التبعئة والتوعية شرعاً، كما قال الله عز وجل

---

(١٠٩) ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، تحقيق: محمد الميساوي، (عمان: دار النفائس، ط١، ٢٠٠١)، ص٣٠١.

(١١٠) قواعد الأحكام، ١/ ١٠٤، **الفروق**، ٢/٣٣، نقلاً عن مصطفى مخدوم، **قواعد الوسائل**، ص١٤٦، ص٢٥٦.

﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾، سورة الأنفال، ٦٥، وهذا ما كان يردده أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

نحنُ الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا[١١١]

وفي هذا الباب، يصح التعامل مع مختلف الفصائل والقوى ذات الرايات العلمانية واليسارية في مشروع المقاومة والجهاد، إذ فيه خدمة للأصل الكلي، وهو الدين، لقد أجاز العلماء سابقاً الجهاد مع ولاة الجَوْر، لأن في ترك الجهاد ضرراً على المسلمين كما يقول الإمام مالك رحمه الله ١٧٩هـ[١١٢]، لكن مع ملاحظة أن تكون الراية الإسلامية هي الرائدة والقائدة، لأن تلك الرايات قد تصاب بالرجفة والخذلان من أصحابها، وقد نص الإمام أحمد بن حنبل ٢٤١هـ بقوله: "لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد، إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين، وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطةٌ على المسلمين"[١١٣].

والآن نشهد على أرض فلسطين – بفضل الله – صعوداً واضحاً للتيار الإسلامي شعبياً وجماهيرياً، مقابل تدن واضح للتيارات العلمانية واليسارية.

٤) **ضرورة نصرة التيار الإسلامي على أرض فلسطين**، لا سيما وأنهم البقية الباقية من هذه الأمة التي تقاتل ألد أعداء الله، وقد أكد على هذا النبي صلى الله عليه وسلم قبل خمسة عشر قرناً، إذ يقول: "**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لعدوهم قاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قيل: يا رسول الله أين هم؟، قال ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس**"[١١٤].

ويلزم من هذا، العمل على نصرة هذا التيار الملتزم بمنهج الإسلام-،

---

(١١١) انظر: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ٦/٥٦.

(١١٢) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/٣٣٠.

(١١٣) ابن قدامة، **المغني**، تحقيق: عبد الله التركي، عبد الفتاح الحلو، (الرياض: دار عالم الكتاب، ط٣، ١٩٩٧)، ١٠/٢٢.

(١١٤) مسند الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وكذلك **سنن ابن ماجه**، كتاب الفتن.

قرآناً وسنة-، وعلى خطى السلف الصالح، في جميع الميادين والمجالات، في الانتخابات البرلمانية والبلدية والنقابية والطلابية، وهلم جرا.

وأن نصرة التيارات ذات الأطياف العلمانية أو اليسارية أو القومية، هي نصرة لا تصح، وتخالف مقاصد الشريعة الإسلامية في الحفاظ على الدين والملة، لأن نصرة هذه الأطياف فيه تأخير وإعاقة للمشروع الإسلامي أن يأخذ دوره في الوقوف والتصدي للمشروع الصهيوني.

وهذا ما أثبته استطلاع للرأي أجراه المركز الفلسطيني للدراسات وحوار الحضارات حيث ظهر أن أغلبيّة الفلسطينيّين يؤيّدون تطبيق الشريعة في القانون الفلسطينيّ، بنسبة ٦٨,٦٪[(١١٥)].

والقاعدة الأصولية تشير إلى أن الأسباب الممنوعة أسباب للمفاسد لا للمصالح، كما أن الأسباب المشروعة أسباب للمصالح لا للمفاسد[(١١٦)].

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو أمر مشروع، لأنه سبب لإقامة الدين، وإظهار شعائر الإسلام، مثل الجهاد مشروع؛ لأن فيه حفظاً للإسلام والبيضة، على الرغم من وجود مصاعب كإتلاف المال أو النفس وغير ذلك، في هذين الأمرين وغيرهما من الأمور الشرعية، بيد أن المصلحة العليا هي المعول عليها.

وفلسطينياً، فإن نصرة التيار الإسلامي الملتزم بمنهج الإسلام وأصوله، فيه نصرة للإسلام وإقامة للمشروع الإسلامي الحضاري، وإن التعويل على الحركات العلمانية واليسارية والقومية ومناهجها هو تأخير وإعاقة للمشروع الإسلامي.

٥) نشر البشارة بعقيدة حتمية النصر الديني لهذه القضية، بناء على النصوص القرآنية والحديثية، والتي هي بمجموعها تشكل يقيناً قاطعاً بأن الغلبة

---

(١١٥) نقلاً عن **الموقع الفلسطيني للإعلام**، بتاريخ ٣ مارس ٢٠٠٥، انظر: www.palestine-info

(١١٦) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ١/ ٢١١.

ستكون للمسلمين ولو بعد حين، والنصوص في هذا كثير، منها على سبيل المثال وليس الحصر، قوله تعالى ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، سورة الإسراء، ٨.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "**تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، أي تغلبون عليهم ثم يقول الحجر يا مسلم، هذا يهودي، ورائي فاقتله**"، وفي رواية "**إلا الغرقد فإنها من شجرهم**"(١١٧).

وعلى وصف ابن كثير: إن عدتم إلى الإفساد يا معشر يهود، عدنا إلى الإدالة عليكم في الدنيا، مع ما ندخره لكم في الآخرة من العذاب والنكال(١١٨).

ويرى سيد قطب في عودة اليهود سنة كونية للفساد والهلاك، إذ يقول: "ولقد عادوا إلى الإفساد، فسلط الله عليهم المسلمين فأخرجوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط عليهم عباداً آخرين، حتى كان العصر الحديث فسلط عليهم "هتلر"، ولقد عادوا اليوم إلى الإفساد في صورة "إسرائيل" التي أذاقت العرب أصحاب الأرض الويلات، وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب، تصديقاً لوعد الله القاطع، وفاقاً لسنته التي لا تتخلف، وإن غداً لناظره قريب"(١١٩).

في المقابل، يرى اليهود أن في عودتهم إلى أرض فلسطين دعامة لهم وتمكيناً لسلطتهم وتحكمهم في العالم، يدعمهم في هذه النظرة المسيحية الصهيونية Christian Zionism، وهذا ما يجعل الكثير من المسيحيين في الغرب مؤيداً لليهود تأييداً أعمى، بناء على الأمل في عودة المسيح عليه السلام، وقيام معركة هرمجدون، وبالتالي وجود العرب ما هو إلا عائق عن نزول

---

(١١٧) انظر: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، علامات النبوة في الإسلام. **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل... **سنن الترمذي**، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما جاء في علامة الدجال.

(١١٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٥/٥٨.

(١١٩) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ٤/ ٢٢١٤.

المسيح، وهذا ما يتحقق في الدعم السياسي للعدو الصهيوني؛ انتظاراً لمعركة هرمجدون The Politics Of Armageddon.[(١٢٠)]

٦) بناء على قواعد أصول الفقه ومقاصد الشريعة، فإن النظر في مآلات الأفعال والأعمال واجب شرعي، لأنه "**معتبر مقصود شرعاً، سواء أكانت الأفعال موافقة أم مخالفة**" كما يقول الإمام الشاطبي[(١٢١)].

وبالتالي يجب على المسلمين الأخذ بعين الاعتبار كل الهواجس التي تصدر عن اليهود والنصارى "المتصهينين" فيما يخص معركة نهاية العالم، أو كما يزعمون "معركة هرمجدون"، وربط كل ما تقوم به حكومة العدو في فلسطين المحتلة أو ما يفعله النصارى الداعمين للصهيونية دينياً من أقوال وأفعال في سبيل إقامة هذه الحرب، واستصحاب القاعدة الأصولية بأن "الأمور بمقاصدها"، فكل ما تقوم به اليهود والنصارى في هذا الصدد، لا بد أن يصحبه عمل إسلامي مضاد، وفي أي مجال حياتي، كما هو الحال في المجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي وغيره.

٧) مع جدلية هذا الصراع الديني وآثاره الكبيرة، يجدر بنا كمسلمين أن نؤكد على قضية ذات أهمية ذكرها علماء الدين والمقاصد، وهي أن **السماحة وسهولة المعاملة مع الآخرين غير المسلمين هي أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها**[(١٢٢)].

فالدين أصله واحد، كما يقول ابن تيمية رحمه الله "ولما كان أصل الدين الذي هو دين الإسلام واحداً، وإن تنوعت شرائعه"[(١٢٣)].

فنحن وفي خضم القتال مع الصهانية لا بد أن نؤكد ونتذكر بأن هذه

---

(١٢٠) فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون، تحرير، ميخائيل سليمان، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٦)، ص٣٦.

(١٢١) الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ٢/٥٥٢.

(١٢٢) ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص٢٦٨.

(١٢٣) ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم**، ص٤٥٥.

الأمة هي الأمة الوسط، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، سورة البقرة، ١٤٣، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة**"[١٢٤].

ومجمل النصوص في الشريعة الإسلامية هي نصوص تدعو إلى السماحة والتواصل الدعوي مع "الآخر"، أياً كان هذا الآخر، وحتى في وقت الحرب، ويجدر بنا تذكر هذا المعنى، وأن لا يغيب عن أذهاننا، على أن يكون هذا المقصد الشرعي متوازناً مع عزة المسلمين وتمسكهم بحقهم في الوجود وعبادة الله والمحافظة على مقدساتهم الإسلامية.

يقول الجويني ٤٧٨هـ: "فللدعاء إلى دين الحق مسلكان، أحدهما: الحجةُ وإيضاح المحجة، والثاني: الاقتهار بغرار السيوف، وإيراد الجاحدين الجاهدين مناهل الحتوف"[١٢٥].

ثم أن هناك أمراً ذال بال، وهو ارتباط الأحكام الشرعية بعضها ببعض، لاسيما وأن المصالح الصادرة عن مقاصد الشريعة هي مصالح أخلاقية معتبرة في الشريعة، وهذا ما أشار إليه الأستاذ علال الفاسي، حينما اعتبر أن" مكارم الأخلاق مقياس كل مصلحة عامة، وأساس كل مقصد من مقاصد الإسلام"[١٢٦].

فالدعوة إلى الله والتسامح مع المخالف، لا يعارض مقصد الحرية، وهذا ما ذكره الفقهاء إن "الشارع متشوف للحرية"[١٢٧]، وطرد المحتل من ديار المسلمين وحماية مقدساتهم.

---

(١٢٤) رواه البخاري، كتاب الإيمان، ومسند **الإمام أحمد**، مسند بني هاشم، بداية مسند عبد الله بن عباس.

(١٢٥) الجويني، **غياث الأمم في التياث الظلم**، ص١٩٦.

(١٢٦) علال الفاسي، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، (الرباط: مؤسسة الفاسي، ط٤، ١٩٩١)، ص١٩٢.

(١٢٧) ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، ص٣٩١، قارن مع: علال الفاسي، **مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها**، ص٢٤٥.

ولعل ما يقارب هذا في علم السياسة الحديث هو حق الشعب العربي المسلم في فلسطين في تقرير مصيره، وقد نشأ حق تقرير المصير للشعوب نتيجة لما عانته عشرات الشعوب في العالم من اضطهاد واستعمار من قبل الإمبراطوريات الكبيرة خلال قرون عديدة، ثم الاستعمار الحديث لدول العالم الثالث.

وإن ضعف الدول الاستعمارية التقليدية خلال الحرب العالمية الثانية وازدهار حركات التحرر الوطني في دول العالم الثالث، جعل ميثاق منظمة الأمم المتحدة ينص على أن أحد أهداف المنظمة الدولية الأساسية هو "احترام مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها"، وهذا دفع بعض فقهاء القانون الدولي – لكي يثبت حق تقرير المصير لشعب من الشعوب(١٢٨) – إلى اشتراط عدة شروط، منها:

١ – أن يعد هذا الشعب شعباً حقيقياً بالمفهوم العام وفقاً للقانون الدولي.

٢ – أن يناضل هذا الشعب من أجل نيل حقه في تقرير مصيره.

٣ – أن ينظم نفسه، وأن يكون له ممثل معترف به دولياً.

وهذا الحق الشرعي القانوني للمسلمين في فلسطين اعترف به الإسلام قبل القانون الدولي، وقبل تأسيس عصبة الأمم المتحدة، وتناوله الأصوليون وعلماء المقاصد تحت مسميات عديدة، تدخل بلا شك من ضمن محاور مقصد الدين الضروري.

---

(١٢٨) نقلاً عن: عبد الله أبو عيد، **الحقوق الثابتة غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني في القانون الدولي**، نقلاً عن مركز باحث (www.bahethcenter.org)

الخاتمة

بعد هذه الإطلالة على حتمية الصراع الديني على أرض فلسطين، نقف هنا لبيان أهم النقاط الختامية لهذا الصراع المتأزم لأكثر من نصف قرن:

١ - التأكيد على أهمية مقصد الدين في دارسة الصراع العربي الصهيوني، إذ لا يخفى على أحد أن الدين أس الضرروريات، وإذا اختل يلزم منه اختلال باقي الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، مع ضرورة دراسة إشكالياتنا السياسية من بُعد مقاصدي أصولي، إذ بهذا المنظور تكون الأحكام المتفرعة عنها أحكم وأضبط شرعياً في توصيف الإشكالية.

٢ - هناك معالم دينية أساسية واضحة في الصراع العربي الصهيوني، أبرزها تحدد في "الإنسان"، "المكان"، "الزمان"، وهي بمجملها تشير إلى معيار الدين في هذا الصراع.

٣ - أهمية تحديد معيار المصالح والمفاسد في أي مقصد أصلي نريد أن يكون داعماً وسنداً لضروري الدين، لأن المقاصد بذاتها تعمل على جلب المصالح ودرء المفاسد.

٤ - أهمية توضيح موقع المقاصد الأصلية والمقاصد التابعة من الضروري، إذ كلما ازدات هذه المقاصد من الضروري تزداد أهميتهم، وكلما بُعدت عن خدمة الضروري، صارت في موضع الظن والضعف.

٥ - أهمية الربط في الأحداث والوقائع الانفرادية للقضية الفلسطينية بالنسق الكلي والعام لها، من خلال إطار المقاصد الشرعية، إذ به تتحدد نظرتنا الشرعية، ومن دون أن تكون هذه النظرة جزئية وغير فاعلة.

٦ - الوعي الديني بالقضية الفلسطينة مقصد أصلي، إذ به يتعرف المتابع للقضية على أهمية دور الدين في تحريك مسار الصراع ما بين المسلمين واليهود، ويوازيه حتمية النصر قبل يوم القيامة.

٧ - يجدر بنا استحضار مفهوم الدعوة الإسلامية في خضم الصراع مع الصهاينة، وأن لا يكون الصراع الديني حاجزاً في أي وقت من الأوقات في دعوة اليهود وغيرهم لهذا الدين القويم.

٨ - يعد الجهاد والمقاومة مقصداً أصلياً في الحفاظ على ضرورية الدين بتشعباته المختلفة أو مسالكه العديدة، وبالاستقراء تبين أن في هذا المقصد علاقة مطردة بباقي المقاصد.

٩ - التيار الإسلامي في فلسطين المحتلة الملتزم بمنهج الإسلام، قرآناً وسنة هو الأجدر أن ينصر ويؤيد على باقي الجماعات والمنظمات العلمانية واليسارية.

المصادر والمراجع

- ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (الرياض: دار السلام، ط٣، ٢٠٠٠).
- النووي، **شرح صحيح مسلم**، (بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط١، ٢٠٠٠).
- ابن تيمية، **إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم**، (بيروت: دار الفكر، ط-ت.).
- الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: عبد الله دراز، (بيروت: دار المعرفة، ط٥، ٢٠٠١).
- يوسف العالم، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**، (القاهرة: دار الحديث، ط-ت).
- الجويني، **غياث الأمم في التياث الظلم**، تحقيق: عبد العظيم الديب، (قطر: مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ).
- ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، (تحقيق: أحمد شاكر، (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ).
- سفر رخلافسكي، **حمار المسيح، الأصولية اليهودية، الحاضر والجذور**، ترجمة: إسماعيل دبج، (دمشق: دار كنعان، ط١، ٢٠٠٠).
- عبد الرحمن الكيلاني، **قواعد المقاصد عن الإمام الشاطبي**، (عمان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٠).
- مصطفى مخدوم، **قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية**، (الرياض: دار إشبيليا، ط١، ١٩٩٩).
- ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق: محمد الميساوي، (عمان: دار النفائس، ط٢، ٢٠٠١).
- سامي الصلاحات، **القطع والظن في الكر الأصولي**، (الكويت: مكتبة الفلاح للتوزيع، ط١، ٢٠٠٣).

- ابن عاشور، **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**، تحقيق: محمد الميساوي، (عمان: دار النفائس، ط١، ٢٠٠١).
- أيان لوستك، **الأصولية اليهودية في إسرائيل من أجل الأرض والرب**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩١).
- محمد أبو زيد، **أرضُ الميْعَاد**، نقلاً عن الموقع الفلسطيني للإعلام. www.palestine-info
- **حائط البراق وليس حائط المبكى**، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠١).
- توماس تومبسون، **القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٣).
- محسن صالح، **دراسات منهجية في القضية الفلسطينية**، (ماليزيا، دار الفجر، ط١، ٢٠٠٣).
- محمد حسن، **موقف المذاهب المسيحية من الصهيونية**، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٣).
- توماس تومبسون، **القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٣).
- منى الياس، **الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠١).
- محمد عمارة، **موقف اليهودية التلمودية من الأغيار**، مجلة القدس، (القاهرة: أغسطس ٢٠٠٢، العدد ٤٤).
- ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (بيروت: مؤسسة التاريخ، ط١، ٢٠٠٠).
- شهاب الدين الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: محمد الأمد، عمر السلامي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٠).
- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: المجلس التحقيق العلمي، (الشارقة: دار الفتح، ط١، ١٩٩٩).

- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط٣٢، ٢٠٠٣).
- طاهر شاش، **التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده**، (القاهرة: دار الشروق، ط١، ١٩٩٧).
- أحمد شلبي، **اليهودية**، (القاهرة: مكتبة النهضة، ط٢، ١٩٦٧).
- رضا هلال، **المسيح اليهودي ونهاية العالم**، (القاهرة: مكتبة الشروق، ط٢، ٢٠٠١).
- كميل منصور، **الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل**، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط٢، ١٩٩٨).
- ناظم الجاسور، **الفكر السياسي الأمريكي المعاصر**، (أبو ظبي، مركز زايد للتنسيق والمتابعة، ٢٠٠٣).
- غريس هالسل، **الأنجليون الصهاينة**، ترجمة: محمد السماك، (القاهرة: دار الشروق، ط٤، ١٩٩٨).
- غريس هالسل، **يد الله**، ترجمة: محمد السماك، (القاهرة: دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٢).
- محمد خالد الأزعر، **القدس بين الانتفاض والتفاوض**، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط١، ٢٠٠١).
- عبد الرحمن الخليفي، **الدعوة إلى الله في السجون في ضوء الكتاب والسنة**، (دار الوطن للنشر، ط١، ١٩٩٦).
- محمد إدريس، **أورشليم في الفكر الديني الإسرائيلي**، (القاهرة: مركز الإعلام العربي، ط١، ٢٠٠١).
- **فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كلينتون**، تحرير، ميخائيل سليمان، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٦).
- عبد الله أبو عيد، **الحقوق الثابتة غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني في القانون الدولي**، نقلاً عن مركز باحث (www.bahethcenter.org)
- 3000 Years of Jerusalem History, www.judaism.about.com

The Inevitability of Religious Conflict on the Land of Palestine from the perspective of the Shari'ah Maqaasid (Objectives)

Dr. Sami Mohammad Al-Salahat.
Assistant professor in the Faculty of Imam Malik for Shari'ah and legal Studies, Academic Advisor, Tomouh Center for Studies, Training and Consultancy.

In studying the Arab-Zionist conflict, the importance of the maqsid (objective) of religion must be emphasized; it is clear for all that religion is the basis of all life necessities, once it is shaken, all those necessities, needs or improvements (al-tahseeniyyaat) will be shaken too. It is also necessary to study our political problems from a perspective based upon the bases of Usul and Maqaasid, in this way the rulings derived will be more exact and accurate in describing the problem.

There are fundamental and clear religious features in the Arab-Zionist conflict, most notably represented in the "**human**", "**space**" and "**time**". They generally refer to the criterion of religion in the conflict.

The criterion of determining the interests and evils in any Usuli target is meant to be supportive of the religious necessity, because Maqaasid per se work on gaining interests and preventing evils.

It is also of the utmost importance to clarify the status of the basic Maqaasids as well as those related to the necessity; the closer they are to the necessity the more important they become, while the farer from it, they become suspected and weak.

We must link the individual events in the Palestinian issue to the total and the general setup through the Shari'ah Maqaasid which will make our legal view exact, away from being partial or ineffective.

The religious consciousness of the Palestinian issue is considered a basic objective, because it reflects the importance of religion in the course of the conflict between Muslims and Jews, as well as the inevitability of victory before the Day of Judgment.

We must also recall the concept of Da'wah amid the conflict with the Zionists. The religious conflict should not be at any time a barrier on the way of inviting Jews and others to this right religion.

Jihad and resistance are basic Maqaasid in preserving the necessity of religion with its various aspects. Through investigation, it was proved that this objective is closely related to the other objectives.

There is no doubt that the Islamic trend, committed to the approach of Islam, based upon Al-Qur'an and Al-Sunnah, deserves support more than other secular and leftist groups and organizations in Palestine and elsewhere.